في الوعي – تزول الحدود والقيود والخلاف والاختلاف – والتضاد والتناقض - والصراع والحرب – في الوعي يتجلى الحب – وفي الحب يتجلى السلام والأمان والإيمان– في الوعي تتجلى الحقيقة،ويفنى عالم الكذب والدجل والعبث هذا.

الجزء السابع من مسيرة الشهيد كمال جنبلاط

من المقدمة حيث يتناول الكاتب موضوعاً هاماً في عصرنا هذا وهو "الصحافة" التي فرضت وجودها حسب قوله كـ "سلطة رابعة "إلى جانب السلطات : التشريعية والتنفيذية والقضائية ...

ثم يقول الكاتب: " وفي هذا الوقت الذي قال فيه طاغور أن " الصحافة هي الرئة التي تتنفس بها الشعوب نرى بأن " تولستوي " يقول بدوره أن " الصحافة هي بوق سلام،وصوت الأمة،وسيف الحق القاطع،وملاذ المظلوم، ولجام الظالم، تهزّ عروش القياصرة وتدكّ معالم المستبدين". أما الصحفي الشهير مصطفى أمين، الذي اكتوى بنار الصحافة وتحسّس برودتها ونسماتها في الوقت نفسه، أكد أن " الصحافة الحرة هي فوانيس النور في شوارع الحكم، والصحف المقيدة هي الطبول والزمور في مواكب الطغاة الظالمين". ص 5

إن في عالم قائم على المصالح والأغراض ؛ لا بد أن تُساق الصحافة بسيف المصالح والأغراض، ولن يكون الصحافي سوى بوقاً لتلك المصالح والأغراض.

فلا بد من مهدٍ حنون يربي الصحافة بكلمة صدقٍ لتعبرعن مكنون صادقٍ وهذا بعيد المنال في عالم يخضع إلى سيطرة عاتية، في عالم يرهب الحق والحقيقة إذا ما كان قد تعّلم في مدرسة علمته كيف يخاف من قول الحق؛ وكيف يرهب الحق والحقيقة.

في عالم يُقتل فيه الصحافي والصغير والكبير من غير ذنب، يُقتلون في كل مكان وفي كل زمان،وكأن الخطوط الحمر للاحترام قد سقطت جميعها.

إن الصحفي هو في ذاته رسالة، وما أبدع تلك الرسالة إذا ما تصورت بريشة الواجب، ريشة الغاية الخلاقة التي تكشف عن حقائق ينتظرها المشاهد بفارغ الصبر.

إن الصحافة "رسالة عظيمة ونبيلة حين تكون رسالة من أجل الحرية، من أجل الحياة، فالصحفي الذي رافق ثورة ما على هذه الأرض، إنما هو جزء من هذه الثورة. وإذا ما قُتل ، فهو شهيد من أجل الحرية.

ويبقى السؤال ماثلاً في الذهن وفي الضمير، هل حَلِم العالم يوماً في حركة كان قائدها الوعي؟ إذا ما كانت حركة الحياة في عالم الطبيعة هذا ترزح تحت طغيان الفكر، فكم نظرت إلى التاريخ في حسرة وألم، وكم ندمت في رحلتي الشقية ، وكم أشقاني الندم ، لأن هذا الفكر قد أتى بيّ من العدم ، وساقني إلى أودية الظلال، بعد أن سقاني السُم والعلقم والسقم، وحرمني من جمال الكلمة ومن بهاء الحكمة ومن نور القلم، وقال ليّ : لقد أتيت بك من العدم ، وها أنا أرمي بك إلى العدم.

فقد تعلم الصحفي مفاهيم الفكر وقوانينه ونواميسه وراح يلهث مظلوماً بما حمل مع أن بعض الصحفيين قد أثبتوا رسالتهم على الأرض وفي السماء أيضاً، لأنهم غالباً ما مهروا تلك الرسالة بالعرق إن لم يكن بالدم .

ومن الواجب أن تحقق الصحافة بمجملها غايتها النبيلة، من خلال تحقيق رسالتها العظيمة، ليقول أمين الريحاني : [إن الجندي الذي يفرّ من المعركة ليس أشد جرماً من الصحفي الذي يلزم الصمت حين يتعرض وطنه للخطر] هذا حسب رؤية الكاتب الذي يقول أيضاً: إن الصحافة هي عقل الشعوب، ولو لم تكن كذلك، لما وجدنا الشاعر أحمد شوقي يعلن قائلاً :

(أعطوني صحافة شريفة وخذوا شعباً عظيماً) ص 6 ، لنقل : " إن الصحافة مرآة الحدث" وأن صفاء المرآة يعكس حقيقة الصورة. إذن يجب أن تكون المرآة بوعي الواجب صافية من أجل أن تتجلى الحقيقة.

ثم تنجلي حقيقة يراها المعلم حيث يقول : " والصحافة بمجملها مؤسسة تجارية أخرى تضاف إلى سائر المؤسسات التجارية العاملة من ضمن النظام الرأسمالي، تلتزم بالربح فقط لا بالحقيقة ونشرها كما يفرض مبدئياً ذلك.

فكما أنه لا رقابة على الدعاية التي تقوم بها المؤسسات التجارية أو الصناعية لبيع منتجاتها – كذلك ما من رقابة على إذاعة الأخبار في الصحف، وعلى صدور التعليقات بروح المسؤولية.

ولذا فالتضليل وارد، والاختلاف وارد، وتبديل الحقيقة وارد، والإثارة واردة، وتحويل الخبر البسيط إلى خبر مثير أو مقلق وارد، لأن المهم هو البيع، هو الربح، هو الدخل فقط، هو مصلحة الجيب ..... " ص 37 ....

إذا ما كانت الصحافة مؤسسة تجارية غرضها الربح وليس الحقيقة، خاصة إذا كان قائدها الفكر، لا بد من القول:إن صحافة الفكر قائمة على باطل، لأنها قد وضعت الإنسان وسيلة من أجل الربح.

إن كل ربح لا تحده الأخلاق ..قد يصبح سرقة ، ولما كانت التجارة قائمة على كاهل الإنسان من أجل الربح ، فقد أصبحت تجارة بشر في بشر، ودول في دول حتى يستطيع أن يأخذ رأس المال مجده.

لا بد من القول أيضاً : إن وعي البشرية لواجب الحياة في هذا الوجود هو الذي يحقق غاية الحياة حين يصبح كل شيء من أجل الإنسان، من أجل سيادة البشر.

إن القوة هي التي تحكم القانون وليس العكس، ولا بد من الوعي من أجل تحرير القانون من القوة، من أجل سيادة الجميع، حيث يذوب القانون ويتجلى الوعي، حيث ينتهي الخضوع وتتجلى السيادة الحقيقية لجميع البشر، تلك السيادة التي لم يعرفها أحد قط على هذه الأرض.إذا ما كان الفكرهو القائد وهو الحاكم بالقوة،وهو خاضع أيضاً لذاتيته المفرطة ولظنه أنه يستعبد العالم ، وهو عبدٌ للمادة التي حرمته من السيادة حيث هي سبب وجوده.

وتحت عنوان الإيمان بالحياة يقول المعلم:"لن تستطيع الشعوب العربية والشرقية أن تنهض وأن تخلص إذا لم ترتفع بالأمل وتتوق بالنزعة إلى ما فوق الأوثان وما فوق

obeikandl.com

المعتقدات والعنصريات والتكتلات، وإلى ما هو فوق التعلق بالماضي وآثاره وبالحضارة الغربية وتقليدها وتجديدها، وإلى ما هو أثمن من التراث ومن الفلسفة والفن والعلم – لا يعادله إلا الوحي والإشراق ولولاه لما أنعم بهما الله– وهذا الشيء هو الإيمان بالحياة.

ويقول أيضاً: والإيمان بالحياة هو الإيمان بالتطور:فلولا التطور لما كانت الحياة، التطور على إطلاقه : تطور الكون والجماد والمادة الحية والإنسان والجماعة بجميع عناصرها الروحية والمادية.

بديع ما يراه المعلم حيث يريد أن يرقى بنا إلى مواقع الأمل، تلك التي يشحذ بصائرنا إليها وعي السبيل والغاية، وعي يحرك فينا أشواقنا حين نبصر هاتيك الحدائق، حدائق الحقيقة، فالوعي يجعلنا حركة توق واشتياق إلى جمال ما نبصر – إلى روعة ما نبصر - لنصبح من جذوة سبلٍ - من ورود هائمة مع أشواقنا إلى حيث هي غاية آمالنا.

إن العلم يبني حدائق الأمل، والمعرفة تغرسها بالرياحين والورود،والوعي يحققها في الكون وفي الكيان، حيث يصبح الإنسان حديقة في ذاته ، بعد أن يغرس في تلك الذات ورود المعرفة – ورياحين الوعي، ليصبح الإنسان جنة في ذاته.

إن الوعي قد يحقق الحياة أبداً، إذا ما كان وعي الأبدية، وعي يحقق الأبدية لأنه منها وإليها، حينها نعلم أننا بالفكر نعمل من أجل أن نموت.

يقول المعلم: "علينا أن نقبل بالآلة وبمستلزماتها العملية وأن نتفهم أهداف تطور الآلة وتطور العنصر البشري، وأن ندخل بحرية في سياق هذا التطور مزودين بالمعرفة وبالإرادة فنهدم ما نتردد اليوم بهدمه، - أي النظام البرجوازي الرأسمالي المتحضر – ونبني بيت الجماعة أي [البيت الذي تسكنه السعادة البشرية "!! وإلا فستخلق الآلة مجتمعاً ودولة على شاكلتهاهي أشبه بخلايا النحل منها بمجتمع بشري] .. وإلا كما قال غاندي [فلا فرق عندي بين عصر الفولاذ وبين عصر الحجر"
44

بلى، علينا أن نسيّر الآلة بالوعي، من أجل أن يكون الوعي هو المحرك الفعلي في سبيل غاية الحياة من خلال واجب الحياة ، وألاّ نكون وسيلة الآلة في نهب الحياة

obeikandi.com

من قيمها ومن أبعادها الإنسانية، هذا إذا ما كانت الآلة عمياء ونحن بالوعي نبصر جادة الحق والحقيقة، فحين صعق صوت الآلة في معامل مانشستر ركض خلفها البشر يستنجدون بها منها، وبقي من هم مثلنا يتضورون جوعاً هناك على هامش الحياة بعد أن سلبت منهم لقمة عيشهم السائغة آنذاك من وراء مغازلهم اليدوية.

فقد فتحت الآلة آنذاك بوابة الحروب التي كانت نهايتها تحقيق أهدافها في سلب المجتمع البشري من قِبل فكر لا يرحم حيث حقق جميع أغراض الآلة وأغراضه معاً، ولم يتحرك عرق في جسد بحرية، إذا ما كان المحرك هو الفكر، عبدٌ الآلة الجهنمية التي لا ترحم، بعد أن باتت تهدد حياة العالم بقوة لا يتصورها عقل بشري.

إن بيت الجماعة الذي تسكنه السعادة، لن يقوم إلا بوعي واجب البناء الحقيقي، إنما هو بوعي نظام الوجود الذي هو نحن كخلق وتكوين، هو ما يتحرك من حولنا حركة في غاية الدقة والشمول، هو وعي الحياة بأسمى معانيها.

نحن بحاجة إلى نظام ينتظم فيه أبناء البشرية جميعاً، وكل واحد منهم عليه أن يعلم الواجب الفعلي الذي يقع علية، والغاية الفعلية من وجوده ، حتى يكون حلقة من البناء العام، وأن فقدان حلقة واحدة، يعني خسارة حلقة من حلقات البناء الحقيقي.

هنا نعلم حقيقة وضعنا الفكر بها، وهي الضياع الفعلي لكل من لا ينتظم في حلقات البناء هذه ، ليكون في مواقع شدّ الحركة إلى الوراء وليس دفعها إلى الأمام.

هنا قد يعلم الذي يأخذ من الحياة ولا يعطي الحياة أنه صائر إلى زوال لأنه يناقض قانون الوجود القائم على العطاء المتبادل.

وجهة تطور

obeikandl.com

يقول المعلم: " في كلمة السنة الجديدة أوضحنا إيماننا بالحياة، وأن الإيمان بالحياة هو الإيمان بالتطور، فلولا التطور لما كانت الحياة التطور على إطلاقه :تطور الكون، والجماد والمادة الحية، والإنسان والجماعة بجميع عناصرها الروحية والمادية. علينا أن نكون في مقدمة البلدان العربية، وفي كل بلد من بلدان العالم : علينا أن نكون في مقدمة التطور فنصيره ويصيرنا". ص 45

في الحق أننا أبداً حياة ؛ فمنذ الأزل - منذ الإبداع الإرادي الأول ونحن في رحلتنا المباركة، في حدائق الأبدية – فيما بين العلة والغاية.

نحن لم نصل إلى الغاية، لأن الفكر قد سلب منّا الوسيلة والغاية، وأسقطنا إلى مواقع الهدف المادي في دائرة الاختلاف حيث جسّد فينا مادية الحياة، وحجب عنّا روحها ومعناها. حرمنا من غبطة الجوهر؛ من نبع اللذة الحقيقية الفائض علينا من أعماقنا، من لدن عزيز حكيم، وساقنا إلى لذة خارجة عنّا، غالباً ما كانت قائمة على الاعتداء، غالباً ما كانت وبالٌ علينا.

نحن في وجود قائم على جوهر ثابت ومادة متحركة. فما هو التطور إذن؟ هو في وعي الجوهر الذي هو ثبات محض – وبسط محض ووعي محض– حيث نقطة بيكار الحركة "المركز "الذي منه تبدأ الحركة المادية بفعل جوهري إرادي – حركة غائية إرادية تتعدى جميع مفاهيم الفكر القائمة على المصلحة الذاتية.

لقد قام الفكر بتأبيد الوسيلة وإلغاء الغاية من الحياة حيث غيّب عن أهل الأرض جميعهم غاية وجودهم في" كمال إنسانيتهم "ثم وضعهم تحت هدف واحد لا غير هو " فرّق تسد " هذه هي إنسانية الأرض التي جمعها الحب، وفرّقتها الحرب.

فالكون منذ الأزل " كامل شامل لا يعتريه زيادة ولا نقصان "وهذا السبب في فشل نظرية الفيض التي قال عنها أفلوطين، إذا ما كان كل زيادة ونقص قد تؤدي بالوجود إلى الفناء، وهذا لا يجوز.

إن المادة أبدية الحركة بفعل جوهر يحركها من صميمها، حيث تصبح بالجوهر حية أبداً. إذن، لا بد من القول:إن حتمية المادة هي من حتمية الجوهر، وحركة المادة بالوعي ، إنما هي حركة وعي جوهرية، ولكن ليست هي هذه المادة الخاضعة إلى

عبودية الفكر، بل هي المادة التي تتكيف بخواصها إرادياً حين تصبح سيدة حرة.

إن الفكر يستخدم المادة من أجل مصالحه بما يخدم ذاتيته، وأن المادة تستخدم الفكر من أجل مصالحها وما يخدم ذاتيتها ؛ لكن الوعي قد يفني هذه المادة وهذا الفكر معاً ، إذا ما كان عالم الوعي هو عالم الحرية المطلقة ؛ " لا استخدام فيه " فالمادة الباقية، إنما هي مادة قد صورتها الحقيقة لندركها بالوعي، هي حجاب الجوهر الحقيقي ، وليس هذا الحجاب الذي يكفر بالحقيقة.

يقول المعلم: "ولا يمكن في الواقع فصل التطور عن جذوره العميقة وعن أهدافه الكونية البعيدة والشاملة من حيث أنه مظهر ووسيلة لإنشاء وبقاء وصيرورة الكون بأسره – أو على الأقل عالم الكائنات الحية ". ص 45

إن الطبيعة هي التي تشخص حركة الوجود، إذا ما كانت في تغير وتجدد وتطور مستمر ، في حين كانت حركة الإنسان المتجددة والمتطورة والمتغيرة ، إضافة إلى طبيعة تجسّد طبعها وطبيعتها تجسد ذلك التناغم البديع في وجود هو اللحن والقيثارة والوتر .

إن تلك الإضافة التي قد حمّلها الإنسان إلى الطبيعة، غالباً ما كانت العبء الثقيل عليها ، حيث كان من خلال صراع وضع فيه الإنسان هذه الطبيعة في المواجهة العدائية له. ولم يعمل على أنسنتها بالحب والسلام كما كان يتطلب الواجب منه.

من أجل ذلك لا بد أن يكون الكون أمام منعطف ساقته إليه حماقة الفكر وتجاهله لما يترتب حقيقة على هذه الطبيعة من مخاطر قد تؤدي بالجميع إلى التهلكة.

وقد أبدع الفكر بالعلم والتقنية والتطور خلال رحلته المديدة حتى جسّد سيطرته على كل مفاصل الحركة وأصبح سدس سكان الأرض يعانون من الجوع ، وجميع أهل الأرض يرتعدون من الخوف ، ذلك لسبب واحد هو " سلطة القوة " وبتعبير آخر " شريعة الغاب " حيث أصبح الكل يخاف من الكل.

obeikandl.com

يقول برغسون : " الخلق يحتم ظهور الحياة " ويتابع المعلم قائلاً: " أي أن فكرة الخلق ونزعته تفرض وتحتم مولد ونشوء الحياة وحتى إذا ما تجردنا من كل فكرة ميتافيزيقية للخلق، ولما وراء الطبيعة، وتمسكنا بالتحديد ا لوضعي والعلمي لتطور الكائنات الحية وجدنا: أنه يجب أن نعتبر التطور كحدث شامل تقدمي وغير قابل الارتداد إلى ما قبل ينجم عن عمل مشترك [وتفاعل] تقوم به أجهزة بدائية كالتكيّف حسب لا مارك ، وسنّة الترقي والتنقية الطبيعية حسب داروين ". ص 45

حين نقول : إن الوجود وجوب محض لا سلب فيه، نعني جوهرية الوجود التي تهبه الوجود والحياة والسعادة والسيادة والحرية والبقاء والأبدية. وهذه هي الغاية القصوى منّا ومنه.

إذن ، ليست صدفة ، ولا فكرة ، ولا نتاج للتطور . إنما هي إرادة إبداع وخلق وكون وتكوين ، و [لا تبديل لخلق اللّه] آية.[روح وحيوات] حسب السيد المسيح. [فأينما تولوا فثم وجه اللّه] سورة البقرة 115 [إنا كل شيء خلقناه بقدر] القمر49 هو المعلم الذي يقول في كتابه ثورة في عالم الإنسان:" ولا يبطل سلطان الازدواجية أو الثنائية إلا عندما يتجاوز الإنسان بعقله الأرفع الفكر. فيدرك الأشياء على حقيقتها وفي عين انبثاقها فيما يتعدى الغرض وعكسه. التيار ونقيضه ، فيستوي على عرش الملكوت " ص 209

إذن،ليست صدفة ولا فكرة ولا نتاج التطور صار هذا الوجود ؛ إنما لغاية إبداعية إرادية علية.

إن الميتافيزيقا ليست فكرة إذا ما كانت قبل سلطان الازدواجية التي يقول عنها المعلم.

إن العقل الأرفع الذي يراه المعلم هو العقل الواحد، هو الإرادة العلية ، وفعل اللّه في الوجود الواحد ، ولا من عقل غيره،سوى العقل المادي الذي أبدعه فكر ديكارت من أجل إلغاء عالم فيما وراء الطبيعة، ومن أجل استخدامه لنهب العالم.

يقول الكاتب: " ويبدو لنا إذ ذاك على حد تعبير البيولوجي هكسلي إن الحياة خليقة بأن نحياها".

وتحت عنوان : الطريق إلى الخلاص : الإيمان بالإنسان، كتب كمال جنبلاط متابعاً كلامه في افتتاحية مجلة (الأديب) في آذار يقول:

توضحت لنا أهداف التطور و وجهته، وهو المتواصل في امتداد أصيل وتّفرع حلزوني متصّل، وشمول كلي عميق من المادة ، التي تدخنّت وتبّخرت إثر تجزئتها الذرية، فاتضحت مجموعة طاقات لا أكثر من المادة التي تظهر وكأنها تنبض بالحياة .... " ص 47

بلى ، إن الحياة خليقة بأن نحياها ، إنما بالعلم والمعرفة والوعي. وليس بالجهل الذي يقود العالم بسيف الفكر،لأن مجتمعاً لا يقرأ هو مجتمع لا يعلم وهذه هي رغبة الفكر .

إن الفارق بين رغبة الفكر وإرادة الحياة الحرة هو" أن يكون الإنسان عطاءً وليس سلباً "هنا ، لا بد أن يتصور الإنسان الذي تريده الحياة،الإنسان الباني لإنسانيته العظيمة. لا بد أن يتصور بريشة الإيمان حتى تؤمن به الحياة حين تجني من ثماره، وترُاح من شرّه.

ونرى أن المادة ليس لها عمقاً إذا ما خلت من الجوهر، لأن أعماقي هي ذاتي الجوهرية .

إن المادة تحقق أغراض الفكر في مظهرية الطبيعة، لكن غاية الجوهر في كينونة الوجود، في نقطة بيكار الدائرة حيث تبدأ الحركة المادية.

إذن ، لا بد من القول: " إن نبض المادة بالحياة من جراء تجليات الجوهر على مظهرية الوجود المادي وليس من مصدر آخر" .

إن المادة حركة مطلقة، حركة صادرة من محرّك في غاية الثبات ، وإلا فقد تضيع الحركة ويفنى الوجود.

لذا،نجد أن الأشياء في تغير وتبدل واستحالة حسب إرادة كونية غائية من أجل جمال الوجود وكماله.

إن توق الحياة إلى السعادة يحققه وعي السبل المؤدية إلى تلك الحدائق التي لم ولن يعرفها فكر دأبه سلب الحياة من كل قيمة جمالية حقيقية .

يقول المعلم: " من خلال وحدة الوجود هذه التي توشك عما قريب، أن تصبح حقيقة علمية وضعية، تنفرج أمامنا طريق الخلاص كأنها شطحة من شطحات رويز بروك والبسطامي أو واضعي الأوبانيشاد :[هذا السبيل مصدره منا ومعينه فينا ومرده إلينا] .

ويقول المعلم : كان يقول فيفكانندا :[يستحيل على المرء أن يؤمن بربه إذا لم يتوفر له قبل ذلك الإيمان بذاته].

ويتابع المعلم قائلاً: وأول ما يفرضه علينا الإيمان بالإنسان : إن الأنانية عزلة مغلقة على نفسها فيها فقر وفيها بوار واحتضار للمجتمع وللشخصية، وأن الإنسانية والحياة كاملة – لا تتحقق فينا إلا بالانعتاق من الذات وبالتضحية، وبسيطرة المحبة الشاملة التي لا تنعكس على نفسها، وكأن الفرد يجد نفسه " ص 48

بلى ، فقد يصل العلم خلال فترة وجيزة إلى ما وصل إليه هرمس الهرامسة في وحدة الوجود وحركة الأفلاك منذ آلاف السنين،وهذا جميل جداً إذا ما قال العلم كلمة فصل حول عالم فيما وراء الطبيعة، ولا أظن ذلك لأن في حدوثه سوف يسقط الفكر ومادته وتتجلى الحقيقة.

وكم هو جميل ما قاله فيفكانندا أعلاه إذا ما كان الإيمان بالذات الإنسانية هو في ذاته الإيمان بالذات الكلية– بالحقيقة الجوهرية– بالصورة المشرقة من أعماق الوجود – المتجلية على مظهرية الطبيعة " إن في معرفة الذات تجلي الصورة، وفي تجلي الصورة وعي الحقيقة فينا وفي الحياة والوجود .

إن العلم يهب الإنسان عظمته وعلوّه – ومعرفة العلم ، إنما هي وعي العظمة الإنسانية وعلوها وسيادتها.

فحين تكون الحياة مدرسة علم؛ لا بد أن تكون السعادة غايتها. وما السعادة إلا وعي وجودنا الإنساني العظيم.

فنحن كرجال، لم نخلق للقتال حسب بوذا المعلم، إنما خُلقنا للعلم والعمل بالعلم حسب هرمس النبي والحكيم والرسول . لا بل نقول : إننا خُلقنا لنكون عظماء في حياة عظيمة .. خُلقنا من أجل أن نصنع عظمة الحياة .. بنور هو فينا وفي الحياة.

هنا ،قد نرى أن واجب الإنسان هو " بناء إنسانية عظيمة من خلال عظمة وجوده في هذا الوجود ، وهذه العظمة لا يحققها فكر إذا ما كانت سبلها جميعاً هي الوعي.

لنقل:لقد كان المعلم مدرسة في ذاته وفي حياته وفي رسالته ،مدرسة تحقق عظمة الإنسان ، تلك العظمَّة التي حققها المعلم بجمال الوسيلة ونبل الغاية. 00000

فحين نعلم أننا من جذوة الحب المتجذر في عناصر الوجود ، حين نعرف أننا بالحب نغرس وروده ونجني رياحينه وعطره وعبقه وشذاه، حين نعي أننا من جوهر الحب الذي آلف الأشياء جملة في بوتقة الوداعة والجمال التي نحن روحها ومعناها؛ حين نعي أننا بالحب ننهل كؤوساً معطرات من خابية الأزل؛ لا بد أن نقدّس الحب الجوهر فينا ، ونقدّس هبة الوجود الحق وماهيتها المبثوثة في أعماقنا ،لأنها ماهية الحياة الحقة - ماهية الحقيقة ، ماهية الحب الحقيقي كالنسغ في دوحة الحياة المباركة.

ويرى المعلم "أن الاعتقاد السائد والشعور بالخطيئة ،وبالضعف ،رذيلة كبرى.وأن الشعور بالخوف نقيصة ذميمة. أما علامة التحرر الفارقة ، وبادرة التقدم والانتصار فينا ، فهي الشعور بالفرح الذي لا ينضب له معين : " إن هذا الشعور بالفرح وبتقبل الحياة بثقة وباطمئنان ناجم عن تقبل التطور ذاته ، وعن انسجامنا أفراداً وجماعة في تيار الحياة الزاخر والخلاق، وهو يتحقق فعلاً بالحس الضمني الداخلي، الواعي ، المتزايد بأننا في مقدمة الحياة والفرح " ص 49

لو سألنا الإنسان المعاصر عن سبب ذلك؟ لقال لنا: إن هذا العصر قائم على هذا الخوف وعلى هذه الخطيئة جراء تعدّي الفكرعلى حق الإنسان بالحياة الحرة الكريمة والمنقذ الوحيد من هذا التعدّي هو " وعي الواجب " فالجهل إنما هو رفيق الخوف والشقاء والحرمان، إذا ما كانت معظم مفاهيم الفكر قائمة على ذلك؛ وإلا

وضع مناخاً بالعلم والمعرفة والوعي من أجل أن يحرر العالم من تلك القيود التي كبّله بها.

إن الخوف الذي غرسه الفكر فينا منذ آلاف السنين؛قد أصبح منّا وإلينا، وأصبحنا منه وإليه حين أصبحت نسمة الهواء التي تغزو أكبادنا؛ ليست سوى رسالة الفكر القادمة من مصانع الموت والفناء. فقد كنّا نتوكل على الله أبان كل فعل، وحين ألغت فلسفة عصر النهضة الأوروبية عالم فيما وراء الطبيعة، أصبحنا نتوكل على فلسفة عصر النهضة الأوروبية التي ساقت لنا رياحاً غريبة علينا، فاقتلعت منّا وجودنا الحقيقي و وضعتنا في تبعية لم نتبيّن لها معنى، فخلعنا جلباب تاريخنا القديم؛ وتقلدّنا.

إن المحرر الحقيقي من الخوف ومن كل خوف هو " الوعي " إذا ما كان واجبنا أن نتعلم ، من أجل أن نعلم فقد أكلتنا عفونة الجهل القذرة، إن الواجب يسألنا، والحق يسألنا من أجل أن يحيا الضمير - علينا أن نبحث عنه في مكنون وجودنا، لأنه بات يبحث عنّا في ضياء وجوده.

إن الخطيئة ظاهرة أبداً في كون وجودنا، لذا فنحن نتوارى عن الحقيقة خجولين بما نحمل. فالعلم والمعرفة والوعي يحررونا من تلك الخطيئة من أجل أن نشرق مع الحقيقة في لونها الصافي الجميل.

هي السعادة مطلب الحياة؛ لكننا لا نعرف سبيلها بعد، إذا ما كانت هي في ذاتها " وعي المكنون فينا " حيث هو في ذاته " نبع السعادة الحقيقية " إن الجهل ظلمة، والظلمة تخيف الجميع إذا ما كانت مرتع الخطيئة والخطيئة نتاج الجهل.

ومن هامش وزير الربيع نقدم عبارة هامة للمعلم يقول فيها :

"إن الربيع يريد وزراء ونواباً في ربيع أعمارهم: يريد رجالاً لا يعوزهم عزم الشباب وإقدامه لا ينقصهم نشاطه وحيويته ". ص 56

هي حقيقة لا يعوزها سوى دفء شمس نوار من أجل أن تستوي ثمارها. إذا ما كان نوار هو شهر القطاف لورود سقاها الربيع من معين معصراته حتى أصبحت كالورد فاتنة نضِرة.

إن أريج الورود والرياحين يعبر بها الربيع ليضعها على أكف نوار حيث ينشرها في فضاء حريته.

بلى هو الربيع حركة بديعة من الرقة والجمال -غير أن الصيف هو فصل الخير والعطاء – فصل ثمين لجنيّ الثمار.

جميل هو ربيع الحياة من حيث وداعة حركته وجمالها وعنفوانها ، إنما الأجمل هو أن تقود تلك الحركة قناعات الكبار في سنهم، وفي معارفهم، وفي قناعاتهم، وفي وعيهم، والمعلم هو خير مثال على ذلك.

وفي منظار شبابه يرى المعلم في يوم الباروك أنه" محك للنظام. فعلى الرفاق أن يكونوا منتظمين يطيعون المسؤولين طاعة [آلية] في شكلها، مدركة واعية في جوهرها" . ص 57 أي في الانتظام العقلاني لحركة النظام حسب رؤيتنا.

بعد عاصفة كامب ديفد وتأثيرها في الوطن العربي؛ وتحت عنوان[انتهت لم تنته] ومما استوحاه المعلم :"فنحن نتلقى الخبر ونسجله، ونحفظه.. وفي هذا التسجيل تأثر وانفعال ونزعة إلى تمثيل هذا الخبر وتكراره..

ويبرز في هذا المنحنى من التحليل والتأمل كم هي حرية الإنسان الفرد، وحرية الجماعة، محدودة، خاصة بالنسبة لمن لم يستعملوا فوق رباط الفكر، وعلائق الحواس، والتزامات النوازع والغرائز، وثقل اعتمال الماضي، بالحاضر وتسببه للمستقبل.

فالسببية وشرعها هي في باطن كل كائن وكل شيء وكل مسار " ص 66

خرج هرتزل في مؤتمر بال الذي عُقد في سويسرا عام 1898 بعبارتين فقط وهما: " يجب أن تقوم دولة إسرائيل خلال خمسين سنة، ويجب أن تتحقق إسرائيل الكبرى خلال مائة عام ".

وقد أخطأ يهود هرتزل بالوسيلة من أجل تحقيق غايتهم، حيث كان اختيارهم هو القوة بكل سبلها، كونهم صوّروا ما في ذاتهم ، فتصورت تلك اليهودية بصورة فاشية في نظر الإنسانية جميعها.

لا بل كان على اليهود آنذاك تحقيق ذلك من خلال نظرة عقلانية واعية وعارفة معنى الإنسانية وتجسيد ذلك المعنى " بالحب والصدق والسلام " حيث يحققون بذلك حلم الإنسان على هذه الأرض، لا بل يحققون لقب " شعب الله المختار" إذا ما حققوا الحب والصدق والسلام لأن هذه الصفات هي نبع السعادة الإنسانية .

لقد فشل يوشع النبي في تحقيق الرسالة اليهودية حين دخل فلسطين وقتل جميع أهلها، حيث عمل ما في ذاته آنذاك. كما فشل يهود إسرائيل في تحقيق رسالة السيد المسيح، رسالة الحب والسلام كونهم عملوا ما في ذاتهم آنذاك أيضاً، حين أقروا في مجمع لرؤساء كهنتهم والفرّيسيون أمراً من قيافا رئيس الكهنة الذي قال:"خير لنا أن يموت إنسانٌ واحدٌ عن الشعب ولا تهلك الأمة كلها ".

فقد كان عليهم تحقيق رسالة الحب والسلام التي أتى بها يسوع المسيح ، لكنهم قتلوا الحب والسلام في قتلهم ليسوع المسيح، لأنهم يجهلون، لأنهم يجهلون الحقيقة.

بديع هو قول المعلم حيث يرى أن الإنسان خلال تأملاته يتعدى جميع القيود التي كبّل بها الفكر جسده الإنساني، إذا ما كان الإنسان خلال تأملاته يتعدى جسده هذا، لأن التأمل في عالم ما وراء الطبيعة وبذات النور" النور العقلي " لأننا نفكر في عالم الطبيعة بنور الفكر، فقط بنور الفكر .

إذا ما كانت السببية في مركز الدائرة ؛ في عمق أعماق الكينونة ، لا بد من نور الكينونة الجوهري حتى نستطيع ولوجها، وهذا يتعدى عالم الحس إلى عالم الوعي.

ولا بد أن تكون قيادة الجسد خاضعة إلى نزعات وانفعالات ورغبات وغرائز وإلى كل مؤثرات ظواهر الطبيعة، لكن العقلانية قد ترقى بالحركة إلى حيث الواجب الفعلي والحقيقي للحياة، ومن خلال نظرة متأملة في حركة الحياة الآنية، نرى خضوع الحركة ، إذا ما كان فعل الواجب يحرر الحركة من الخضوع ، حين يصبح الجميع في موقع السيادة الحقيقية ، لأن الواجب هو وعي الحركة أولاً .

وتحت عنوان خميرة الفولاذ أو ملح الأرض يقول المعلم :

" نرى أيضاً أنه لا بد من النظرة الفردية للإنسان المنفلتة من كل قيد ومن كل شرعة ومن النظرة المكبلة للإنسان في الأنظمة الكلية الجماعية. نرى أنه لا بد من هذه المواجهات المتطرفة أن يعود كل منها إلى محور الاعتدال وإلى تلمس النهج الوسيط الجامع في آن واحد للحرية وللالتزام بشرعة العقل. وعندما انفصلت الحرية عن شرع العقل، وفي طليعتها الأخلاق والقيم الروحية والتربية المتوجهة بكليهما، شهدنا ما شهدنا في الغرب من مآس تجعل الإنسان يفكر بالحضارة. وشهدنا ما شهدنا في بلادنا وبشكل خاص إبان الأحداث الأخيرة من مخازي وتصرفات منحرفة للجماعات البشرية وللجيل الجديد هي أشبه بحلول بربرية وحيوانية جديدة في النفوس ". ص 80

إن ما يراه المعلم هو الانتظام في شرعة العقل، وهو يعلم أن العقل بعيد المنال على من هو نسيج مادي بالغ التعقيد.

إن نظام الوجود لا يقبل العشوائية والفوضى والعبث في قانون الطبيعة العلوي، إذاً لا بد من الانتظام في سنن الوجود بدقة وشمول، ولا يمكن تحقيق ذلك إلا بالوعي الذي يتعدى مفاهيم الفكر سمواً إلى عالم الوجود الحقيقي من خلال وعي فعلي إلى حقائقه الثابتة .

فنحن نمرض لأننا لا ننتظم في نظام غذائي تضعه أقلام منتظمة بنظام الوجود ، وهذه الأقلام لا توجد في عالمنا هذا.

ونحن نشقى لأننا طلاب فكر يحقق لنا شقوتنا تلك التي يحسبها سعادة السعادات حيث لم نكن نعلم سوى علم الشقاء والعبودية الذي تلقيناه في مدرسة الفكر.

فلم يخبرنا هذا الفكر أن العمل المثمر هو سعادة في ذاته، وأن جميع الصفات والسمات والمثل جميعها هي سعادة البشر.

لم يخبرنا هذا الفكر أن في العطاء سعادة تزيد مرات ومرات عن لذة مزعومة جراء السلب والنهب.

obeikandl.com

ولم يخبرنا أن الشجاع هو من يتلقى الضربة في ابتسام عظيم ، وليس من يعتدي على كرامات الناس. فما زلنا نفرح إلى أقوام كبني هلال الذين غزوا وقتلوا وسلبوا ، ونشتم الذين قُتلوا وسُلبت بلادهم ، لأننا فكر كان وما زال مع الأقوى.

إن العلاج الشافي من جميع أمراض البشر وأسقامهم هو " العلم والمعرفة – هو الوعي " الذي يحقق إنسانية الإنسان بكل معانيها .

نرى أن تغيير القوانين مع الزمن، لتكون سابقة للعصر من أجل أن يكون الإبداع والتجديد في الذهن والمخيلة بصورة دائمة.

نرى أن من الواجب ألا يقودنا الزمن ، لا بل يجب أن نقود الزمن إذا ما سمونا إلى الغائية التي تتشدها أعماقنا .

إن الفرق كبير جداً بين تجارة يقودها المرابون، وبين تجارة تقودها الأخلاق، بين تجارة غرضها النهب؛ وتجارة تضيف إلى المرء قيمة جديدة من أجل أن تتوجه طاقات البشر إلى ما هو أثمن وأغنى من الكسب المادي غير المشروع 000

النهج السليم أو الثورة العلمية الجديدة

يقول المعلم:" فالانحرافات النفسية التي ولّدتها هذه الأوضاع وفي رأسها القلق النفسي وظاهرة التوحش ومظاهر الجريمة والنهم الجنسي الذي يوّلد ضعفاً وعنّة عند معظم الشباب في السن المبكر، وألوان الكبت الأخرى التي تجعل دماغ الإنسان وكأنه مرجل تغلي تحته شتى ألوان الإشتهاءات، ويصبح الإنسان المعاصر، وخاصة الشباب، لا يستقر على حال من الأحوال، تتقاذفه شتى الأنواء الفكرية والرغبات العاطفية، كل ذلك لا يهدد فقط أعصاب وجسد وحواس الإنسان المعاصر نظراً للإرتباط العضوي، بل يهدد أيضاً تصرفات الجماعة وفي طليعتها قضية السلم والحرب لأنه كما يقول العالم النفساني يونغ: (إن مصير الجماعة يتقرر في كل الضمير الفردي ما يأخذ بعين الاعتبار ويتجاوز بأن واحد المادية الإقتصادية التاريخية في المعنى العادي للكلمة).

ويقول المعلم: " فالذي يتوجب علينا، ونحن أشخاص عقلاْء من بني البشر،هو التوقف عند هذه التأملات وسواها من التي تتعلق بمصيرنا وحياتنا، لكي نقوم بالإصلاح المتوجب في وسائل عيشنا وتربيتنا واجتماعنا وتصرفنا" . ص 86

إن المعلم يشرح هنا ظاهرة إجتماعية في زمان ومكان وظروف محددة، ظاهرة كانت نتاج اختلاف ذهب به الفكر إلى ميادين الحرب من أجل أن يحقق أهدافه التي أضحت قيد القطاف إذا كان يحسب كم يجني وينسى كم يشقى ويموت من البشر.

ويضع المعلم حلولاً واقعية لواقع يراه هو بعين عقله؛ ويراه غيره بعين فكره ، وشتان ما بين العقل والفكر.

ونحن نرى كما رأى جبران قبلنا" إذا حضرت أسباب المشكلة وقعت". فلم يكن فكر المرحلة تلك أقل جهالة من غيره ، إذا ما دفع لبنان الجمال والحرية والثراء كل ما يملك من الجمال والحرية والثراء ثمناً لجهالة الفكر الذي حقق ما في ذاته،وما في ذاته كان جريمة أكبر من التصور، لأنه هو في ذاته جريمة أبعد من التصور.

إن الفكر اختلاف،وحين نغتسل من هذا الفكر،نتوحد في الجوهرالواحد - في الدين الواحد - في الذات الكلية، في الوحدة العليا للوعي وعي الذات.

إننا بعين النور نرى النور،وبعين الظلام نرى الظلام،وفي انعدام الرؤية تنعدم الرؤية،ومن أجل ذلك يجب أن نبحث عن نور الحياة، من أجل أن نسير بالنور إلى غاية الحياة المتصورة في أعماقنا، من أجل أن نجسّد ذلك التصور حقيقة في الوجود المادي.

فالجمال المحجوب عنّا وهو في أقداسنا،قد يتكشف بالوعي لنصبح نحن هو، ليصبح هو هو المتجلي أبداً، ونحن من تلك الغبطة المبسوطة في ذات الوجود ، وفي ذاتنا.

هنا ، وفي عين الوعي تزول القيود والحدود والازدواجية التي قال عنها المعلم مع زوال كل فكرة وفكر.

فقد نظر المعلم إلى المدينة من الجبل المطل، ورأى الناس في رواحهم وفي مراحهم؛فتألم.وكان لا بد لنا من الصعود إلى ذلك الموقع الذي منه نظر ولو بالتمني، من أجل أن نقول كلمة فصل كانت في ضمير المعلم كمال جنبلاط.

إن ملايين الرقع الملونة التي أرثى بها الإنسان جلباب التاريخ ، حتى أصبح ذلك الجلباب رثاً مخجلاً، إذن لا بد من التغيير ، إنما ليس بسيف ذلك الفكر الجزار، لا بل بوعي الحب في جوهره، بوعي السلام في صميمه، بوعي إنسانية باتت ترتعد من الخوف وسبل خلاصها وسعادتها وسيادتها ، بوعي الحق والواجب، بوعي ذاتنا الحرة وتحقيق تلك الذات في علو موقعها الإنساني.

فلو سألنا عن مسؤولية الجهل في عالمنا وعلى من تقع؟ أليس الفكر هو صانع الاختلاف هو المسؤول عن تحريم الصدق في المجتمع ؟ هذا مثلاً .

إن معظم الشعوب التي كانت مغلوبة على أمرها حين كانت مستعمرة؛ وبقيت مغلوبة على أمرها إذا ما كان الاستعمار قد حرص ألاَّ تصبح شعوباً مسؤولة عن مصيرها ذلك بأنه حرمها من بناء مؤسساتها خاصة الاقتصادية منها حيث وضع قيادات لها يحركهم هو ويحرص على مصالحهم لقاء حيازة اقتصاد شعوبهم. لذا فقد حرمها ذلك من الانتظام في مؤسسات قائمة على قواعد قوية وثابتة بكل مجالات الحياة.

في هذا يكون الاستعمار قد ضمن أسواقه الواسعة من أجل بيع منتجات مصانعه العاملة بخيرات تلك البلاد التي ينهبها قادتها من أجل مصالح الاستعمار، ثم تبقى أسواقه مزدهرة بالطالبين من أصحاب المصالح لتلك الشعوب .

إنما الأشد إيلاماً هو أن شعوب تلك البلاد بقيت رهينة الاستعمار الذي بقي بكل قوته فوق هامات تلك الشعوب التي راحت تلهث وراء فُتاة حضارة ذهبت مع الريح، فلا حركة ولا تجدد ولا تغير ولا تطور من أجل ألاَّ يحلم أحد من السبيل إلى الإبداع.

إذن،كان على تلك الشعوب أن تقبل الفوضى والبطالة والقهر والذل ولا من سبيل سوى الرضوخ أو الهجرة .

obeikandl.com

بلى ،فقد تعلمت تلك الشعوب من خلال النقل والتقليد والتأويل والبطالة والجهل؛ تعلمت كل موبقات الحياة وعملت بها من أجل مليء أوقاتها الفارغة من العمل الجاد المثمر ،

لنسأل هنا سؤالاً بسيطاً ،لماذا لا نصدق القول والفعل؟في الحق لأننا عبيد الخطيئة ، ولسنا طلاب الحقيقة ، فالصدق إذن حرام علينا لأن الخطيئة ترَهب الحقيقة.

إذاً ،علينا أن نغتسل بماء الصدق من الخطيئة ،علينا أن نتعلم العلم،علينا أن نعرف نظام الوجود ، علينا أن نعي من نحن وما هي غايتنا في هذا الوجود ، علينا أن نحقق غاية وجودنا ، إذا ما كانت تلك الغاية هي سيادتنا الحقيقية في الوجود.

دخل مكتبتي طالبتان جامعيتان يتعلمن في جامعات الفكر،واستغرقن في المكوث فيها حتى ظننت أنهن يتقن فلسفة فيها روح المعرفة ، وبعد ذهابهن تبين لي أنهن قد سرقن نقوداً كانت محفوظة وراء بعض الكتب،

لماذا يحدث هذا؟ وما هو غرض العلم،وما هي قيمته،إذا ما كانت طالبة اليوم قد تصبح معلمة، فماذا سوف تُعلِم ، وقد تصبح مربية جيل، فأي جيل تربي، طالبة قد تصبح في موقع القيادة فإلى أين تقود جيل هو بحاجة ماسة للإنعتاق من رزايا حملها مرغماً من أجيال سابقة.

إننا لا نعلم عن دور الجامعات في غرس القيم الإنسانية وتنميتها في كيان الطالب إذا ما كانت تلك القيم هي علم الجمال الذي يثري ذلك الطالب بما يجب من السمات والصفات والأخلاق والمثل، حتى يصبح في موقع من يحمل رسالة حياة نابضة بدفق من العطاء وليس السلب.

وإذا ما كانت مناهج جامعاتنا قد نسجتها آلة التقليد الحاكمة أمرنا، وفصلتها على مقاسنا ؛ لا بد أن نقول: يجب أن تقوم ثورة عليها، من أجل ألا تسرق طالبة نقوداً من دار حكمة.

فمنذ عشرين سنة تقريباً، عثرت ابنة أخي الصغيرة على بعض النقود على قارعة الطريق، وخلال دقائق معدودة عادت تلك النقود إلى صاحبها كاملة.

ريح جديدة

يرى المعلم بها تصور الزمان بأنه المولد الرئيسي والأول للإبداع التكويني لعالم المادة والنبات والحيوان والإنسان ، حسب العالم الروسي كيزوريف وهي نظرة تتجاوز بالحقيقة النظرة المحض مادية، وتجعل هذا الإبداع ملتزماً في النهاية بالفكر بأسمى معانيه أي بالعقل". ص 88

نحن حين نتكلم عن الفكر والمادة نكون في عالم الفكر والمادة، ونتكلم في لسان ولغة، لكننا مع تحقيق الوعي لا يبقى فكر ولا مادة، ولا لسان ولا لغة، فنكون قد وصلنا إلى غاية نشد مجردة عن الفكر والمادة؛ ونعود إلى علة الإبداع المتصورة.. فينا وفي الوجود– فهي الشاهد علينا أبداً ،تخبرنا عنّا وعنها أينما وفي أي زمن كنا ، وهي الشاهد لنا في محكمة الضمير.

قطب الوجود

يقول المعلم: " فعندما نثير أهمية التراث النفسي والأخلاقي وضرورة تصويبهما للإنسان المعاصر فإن ذلك هو في سياق ما كشفته لنا العصور القديمة والحديثة حول طبيعة الإنسان تمثيلاً لنا تصوره لنا العلوم الحديثة من التأملات المتقابلة في الكشف العلمي الحديث.

ولا عجب في كل ذلك وفي هذا التلاقي لأن الإنسان هو ككائن مادي وككائن حي ونفسي قطب في هذا الوجود نسبة لغيره كجميع الكائنات الأخرى - والفكر هو بحد ذاته طاقة غير منظورة وكذلك الحياة ولا بد من أن يتخذ هذا التفاعل المتقابل وهذا التأثير المشترك شكّل سننٍ وشرائع علمية تهيمن على مجرى هذا التفاعل في التكرار والتردد والاتصال".ص 90

بلى هو الإنسان لغز الحياة والتاريخ والوجود؛ هو لغز الأزل في هذا الوجود، ليس من حيث طبيعته فحسب ، لا بل من حيث مكنونه أيضاً .

والفكر، إنما هو طاقة حسية فاعلة ومنفعلة في مادة الطبيعة، هذا إذا ما كان الفكر طاقة، وإذا ما كانت الطاقة حسية، وكل حس يفعل وينفعل لذا نرى أن

obeikandl.com

تلك السنن وتلك الشرائع تفعل وتنفعل كونها فكرية مادية وكل فكر لا بد أن يكون خاضعاً لأنه ينفعل ، وكل الذي ينفعل يحمل الخطيئة في ذاته.

الأم الحقيقية

يقول المعلم : " لا بد أن نحمل هذه النظرة لشرعة حياة الإنسان الأزلية ... التي يمكن أن تتبدل في شكلها وشرعيتها الحقوقية ولكن جوهرها يبقى هو ذاته، وكذلك الملكية الصغيرة للإنسان وهي من طبيعة أناها الظاهرة وهو المالك لجسده ولحواسه ولفكره، وكذلك العيش في كنف الطبيعة، وهو ابن لها وهي أمه الحقيقية، وهي أيضاً ممارسة الحرية بالنسبة للإنسان كل إنسان، ولكن في حدود العقل وفي نظامه المتغير في شكله ولكن جوهره واحد". ص 90

هي حقيقة التناغم بين شرعة الحياة الأزلية في مكنونها وفي ظاهرها إذا ما كان العقل هو المحرك إرادياً لظواهر الأشياء المادية من ذات مكنونه الثابت أبدياً، إذا ما كانت منسجمة ومتناغمة مع حركة الأفلاك ونظام الوجود.

ولا بد من أن يكون للطبيعة أعماقاً وأبعاداً قد لا تراها عدسة الفيزياء العلمية أبداً لأن تلك العدسة صناعة فكرية غرضها مادة الفكر ، لا مادة الطبيعة الحية الزاخرة بثروات الوجود العظيمة إذا ما كانت هذه الثروات هي هبة الوجود إلى الإنسان.

وقد قلنا سابقاً : إننا جبلة من الطبيعة مغموسة بماء الأزل، لا بل مغموسة بروح الأزل. لنجد أن الطبيعة موكولة من النفس الكلية بالإشراف المباشر على المادة. هذا حسب ما قاله الأستاذ [آرمسترونغ]. وهي القوة الروحية الرابعة بالوجود -حسب رؤية أبو حيان التوحيدي.

حوار حول كتاب الشعر [فرح]

يسأل المحاور وضاح الحلو المعلم قائلاً:" كان كتابكم الشعر [فرح] مفاجأة للجميع. هل هو تأكيد لأهمية الفرح الإنساني في هذه الفترة القلقة ،وللرؤية الشاملة للفن الحقيقي والإحساس الشعري الباطني .... ؟

يجيب المعلم : في الواقع، كان الكتاب محاولة لتفهم واستيعاب الجدلية في معناها الحقيقي، أي استيعاب وحدة التناقضات...إن الأساس الأول لنشوء الجدلية قد عبّر عن نفسه في الثقافة اليونانية وبعض الحضارات القديمة ... لهذا السبب أنا اعتبر أن ما من شيء قائم بذاته .. كل شيء يقوم بالشيء الآخر ،أي يقوم بنقيضه في النهاية ، كذلك نظرية المعرفة .. ما من شيء مدرك نستطيع أن نعتبره مستقلاً عن الشخص المدرك... هناك عملية الإدراك .. وفي عملية المعرفة الفرضية تقوم وحدة للجدلية بين العارف والمعروف ... هذه النظرة للوجود هي ما أسميته الوجودية الحقيقية لأنها ترتكز على وقائع الوجود كما هو .. لأنه، في النهاية، يوجد وحدة جدلية بين الروح والوجود الظاهر لا يمكن فصلها ...

ويقول المعلم : هذا وجه من الديوان .

أما الوجه الجدلي الآخر منه فهو اعتبار انوجاد مادة هيولية وراء هذا الوجود الظاهر، مجردة عن أي هيولى بالمعنى ذاته ،وليس لها اسم بالمعنى الصحيح للكلمة لأنها فيما يتعدى الأسماء والصور الفكرية ونعني هذه [الهيولى اللاهيولانية]ما كان يسميه الفلاسفة اليونانيون القدماء (بالطبيعة المولدة) أي المولدة بذاتها لجميع الصور والكائنات أو هذا المعين الأخير الذي تولد منه جميع الأشياء .. إن طبيعة الظواهر هي واحدة لا اثنتان... وفي هذا المستوى تنتفي الازدواجية، وكأن أحادية الطاقة هي مصدر الوجود ،كل وجود..وهكذا يكون الوجود الظاهر، من مادة وحياة، مجرد حركة ولا يوجد إلا الحركة في الكون. . وهنا نقع على وحدة جدلية أخرى هي وحدة المادة والطاقة، أم وحدة المادة والحركة، كون الحركة مظهر من مظاهر الطاقة"ص 111

صحيح أن المعرفة سابقة الإيمان، إذن هي الأولى، وأن الحركة المطلقة تتعدى القوة، وليس للفكرعلاقة بها. فقد سألت أحد رجال الدين السؤال التالي، أيهما

الأسبق بالنسبة لك ، العلم أم الإيمان ؟ فأجاب قائلاً : الإيمان. فقلت : لا بل العلم من أجل أن نتعلم الإيمان. هذا بالنسبة للسؤال.

إن ما مرّ معنا في كتاب " فرح " قد يتعدى الجدلية إذا ما كان يتناغم مع الروح. وما من شيء قائم بذاته حسب قول المعلم، لنقل: أن الجوهر الشريف النوراني هو قائم في مادة شريفة، كما أن المدرَك هو الإضافة الفعلية للشخص المدرِك .

وفي الجدلية نرى" أن العالم يشكل وحدة جدلية قائمة على تجريد الفعل، لأن جدلية الحركة فيما بين المفهوم والموضوع تجعل الحقيقة جلية على ظاهر الحركة، وأن ظهور الحقائق وتجليها على ظواهر الأفعال؛ يجعل منها وسائل حقيقية للوصول إلى الحقيقة الكلية التي هي غاية كل فعل. وكل حقيقة تعي سبل التوحيد بين ظاهر الموضوع وعلل وجوده، تجرد الحركة والفعل للغاية القصوى منهما. وهناك ملايين الحقائق التي تشير بالوعي وتدل إلى حقيقة واحدة كلية جوهرية مطلقة ومجردة".

بلى ، توجد وحدة جدلية بين الروح والوجود الظاهر قد يعيها من ينتظم في سنن الوجود ونظامه حيث يصبح هو الحركة الإرادية في تحقيق تلك الوحدة المتناغمة ذاتياً.

إن الفكر اختلاف، وأن جدلية الاختلاف لا تشكل وحدة، إذا ما كانت الحزبية تحمل في ذاتها مصلحة وليس حقيقة، وشتان ما بين المصلحة والحقيقة ، فالمصلحة ذاتية التكوين ، بينما الحقيقة مجردة للغاية القصوى من الوجود.

نحن في الحزبية نختلف على مصالح ذاتية ، لكننا في طلب الحقيقة نتجرد إليها، وإذا ما تجردنا من كل فكرة وفكر، نكون الحقيقة في ذاتها، نكون وحدة متناغمة في البسط والغبطة والفرح، وهذا هو جوهرالتوحيد الذي ينتهجه خلق في هذا العالم جلهم لا يعرفون جوهره الحقيقي، مع أنهم يقولون"إسلام– إيمان– توحيد " فالإيمان جوهر الإسلام، والتوحيد جوهر الإيمان، وهو هو الغاية القصوى في الوجود.

ونرى في الوجه الجدلي الآخر : أن الوجود " صورة ومادة " صورة في ثبات مطلق، ومادة في حركة مطلقة، الصورة هي نقطة بيكار الدائرة، والمادة مظهرية الدائرة، الصورة محركة للدائرة إرادياً من صميمها حيث هي الصميم، والمادة متحركة إرادياً وليس بقوة الطاقة، إذا ما كانت الإرادة عقلية جوهرية فوق القوة التي هي عائدة إلى الفكر من أجل السيطرة على الحركة التي يستطيع نهبها من صراط الحقيقة، لتصبح القوة هي الطاقة لأنها مادية.

إن الهيولى هي مادة بالقوة، قابلة أن تصبح مادة بالفعل إذا ما اتحدت مع الصورة بفعل الشوق، كما أن الطبيعة مادة بالفعل وفي احتوائها إلى الصورة، تصبح مادة حية وإذا ما فنيت المادة مع فناء الفكر، يتجلى الجوهر حيث تنتهي الثنائية ليصبح هو " القائم في ذاته ". إذاً، هناك الثبات المطلق ، والحركة المطلقة من ثبات مطلق.

إن طبيعة الظواهر مختلفة حسب اختلاف ظروف وجودها واختلاف مادتها، وأن هذا الاختلاف صانع الازدواجية التي تزول بزوال الفكر الذي جسّد الاختلاف.

ولا يمكن للطاقة أن تكون أحادية بعد أن جسّدها الفكر بالفعل وجعلها في خدمة أغراضه المختلفة، لأن اختلاف الكثرة المادية يؤدي إلى اختلاف الطاقة، وأن إقامة التناقض والتضاد والصراع والحرب، قد وضع الطاقة داخل قيود ذلك الاختلاف حيث أصبحت رهينة الفكر.

صحيح أن الوجود الظاهر من مادة وحياة، مجرد حركة، لكننا نبقى نبحث عن محرك، ومنذ الأزل والإنسان يبحث ويتأمل ويتقصى في تطلعاته واستغاثاته ونجواه عن هذا المحرك لنقل : إن الوجود وجوب محض، لا سلب فيه، هو مشحون بضمير إنما هو ضمير الوجود وسابقه، مبثوث بكل ثناياته، يحركه من صميمه، حركة إرادية. إذاً ، من الذرة نبدأ :

قال علماء الفيزياء : إن الذرة تتألف من شحنة بروتون موجبة، وشحنة الكترون سالبة ، ونيترون عديم الشحنة.

لنسأل علماء الفيزياء السؤال التالي : من أين أتت الشحنة إلى الذرة وهي مادة يابسة لا حياة فيها ؟

وقد سألت بعض المتكلمين خلال محاضرة لي في المركز الثقافي لمدينة السويداء هذا السؤال ، لم أحصل على جواب له .

وكان جوابي هو الآتي : إن الفلك مشحون بضمير، هو جوهر الوجود مبثوث بكل ثناياته يحركه من صميمه، والجوهر ينبسط ولا يتحرك حيث هو المحرك من ثبات مطلق. إذن، الجوهر هو بسط وقبض، والبسط والقبض هما فؤاد الوجود النابض، هو المحرك الحقيقي للوجود كالفؤاد أبداً، وكأنه ترنيم بسط يستمد ويعطي، يستمد من الجوهر المحض ويعطي الوجود الظاهر.

إن الوجود هو أنت كون وكينونة، وليس ظاهراً وباطناً ، إذا ما كنت جملة من الخلايا يحتويها الجوهر، فأنت أنت أقداس وأعماق وراء غطاء هذا الفكر.

إذاً ،لا بد من أن يكون الكون جوهراً مبسوطاً في الوجود وهو ثبات مطلق، ومادة تشكل مظهرية الوجود وهي في حركة إرادية مطلقة من صميم هذا الثبات المطلق.

يقول المعلم: "وهنا نقع على وحدة جدلية أخرى هي وحدة المادة والطاقة، أم وحدة المادة والحركة، كون الحركة مظهراً من مظاهر الطاقة". ص 112

نرى من خلال نظرتنا إلى الوجود أنه يتألف من "وحدة جوهرية وكثرة مادية". فالوحدة الجوهرية تتعدى الكثرة ، لأنها بساطة محضة، إذاً، لا بد أن يقابل الوحدة الجوهرية كثرة مادية من أجل أن تكون حجاب لها، والكثرة المادية في عالم الطبيعة هذه ، خاضعة إلى التبدل والتغير والاستحالة لأنها دائبة الحركة.

ونرى أنه يجب أن يكون الوجود قائماً أبداً على وحدة ثبات محركة، هي جوهر الأجناس كلها ، وروح الأجناس كلها، هو الجوهر المحض، مبدع الأجناس كلها، وسابق الأجناس كلها، هو الواحد الأحد.

فأنت أنت وجوداً مطلقاً، بك جوهر الثبات المطلق الذي يحتوي في صميمه مبدأ الحركة المطلقة؛ الحركة التي تنطلق من مبدأ الثبات في ذاتها حيث تحمل من خلال هذا المبدأ؛ غاية الجوهر حين يصبح صراط أمرها فيما بين العلة والغاية ولا يتعداه.

فإذا ما كانت هذه الحركة غائية؛ تكون متحركة إرادياً من خلال إرادة عقلية غائية كحركة الوجود في دقة نظامها وشمولها وأبديتها، وهذه هي الحركة التي تصل إلى غايتها إذا ما تحققت بوعي الإنسان لها .

ونرى أنه يجب أن يقابل الوحدة الجوهرية ، كثرة مادية هي في غاية الاختلاف من حيث عدم ثباتها، وتباين عناصرها، وتمايز معادنها، وما إلى ذلك.

وأنت أنت تلك الكثرة التي إذا ما انتظمت في نظام الوجود ،وارتقت بوعي جوهر وجودها إلى وعي الغاية منها ، والتي هي تحقيق الكمال لذلك الجوهر، أضحت مادة شريفة طاهرة معتوقة من عبودية الفكر،سيدة أمرها، لتصبح حركتها إرادية غائية حرة في عالم سيد حر - لتصبح أنت عالم تلك السيادة الحرة. .....

ومن الأسئلة التي وجهها السيد وضاح إلى الأستاذ كما جنبلاط ، السؤال التالي:

ما علاقة الفكر الواعي بالحدس ؟

يجيب المعلم قائلاً: " الحدس يتم عندما يتجرد الإنسان من الالتزام بما يدركه من ظواهر .. أي عندما يقف الإنسان موقف الشاهد من الأشياء .. عندما يتجرد الإنسان من الالتزام يكون هذا الإنسان في سكون فكأن العقل فيه يتوجه، ولو إلى لحظة، إلى حقيقة هذه الهيولى اللاهيولانية ونسمي ذلك.. إذاً ،فالحدس هو نوع من الفكر السريع دون إطلاع على مراحل التفكير. .

والشيء الأكيد الذي لا يتبدل في الإنسان هو الوعي الآتي من التنور الذي به نلمس، نفكر، ونصنع به كل شيء وبه تكوّن كل شيء في الكينونة الداخلية والخارجية ". ص 115

هي الحقيقة ، فعندما يتجرد الإنسان – لا بد أن يصبح في عالم العقل، لأنه تجرد من عالم الفكر،وحين يصبح مجرداً من أي فكرة وفكر؛يصبح شاهداً على فعل الفكر من ذاك الجبل المطل على مدينة الفكر المزدحمة بانفعالات الفكر بالأغراض.

فقد قلنا في أول عبارة من كتابنا " ضياء العقل " الذي كتبناه في نهاية القرن

الماضي، ونشرناه في عام 2006 م قلنا " عالم العقل هو شاهد على عالم الفكر، إذا كان عالم الفكر هو القائم بالفعل، وإذا حضر عالم العقل، وقام بفعله العقلي ، غاب عالم الفكر".

إن طيبة المعلم هي في سعادته الذاتية، تلك السعادة الهانئة في وداعة كيان من الجمال القدسي، في عالم من القداسة النورانية التي يتوق إليها من يعيها، ويكفر بها من يجهلها، وعالمه هذا ليس سكوناً، فأنا قد رفضت نظرة زينون بالنسبة إلى السكون حين " رأيت أن السكون لا يوجد إلا في داخل الحركة المادية هذا إن وُجد". إنما هو بساطة جوهرية، بساطة غبطة شوق وسعادة وحبور، فالمعلم في خلوته، لا بد أنه كان في وداعة تلك الوديعة النابضة بالحب – بالحياة – بالغبطة الحقيقية، وهذه هي ثمار ما غرس، وعبق ما زرع، ونعيم ما فعل...

بلى، أن الوعي لا يتبدل حيث تعدى عالم الحركة إلى عالم الثبات – عالم العقل - مبدع الحركة ومجريها في الوجود المادي (فالسيد الحر قائد لقانون الطبيعة) حسب أفلاطون. وهذا السيد الحر هو المعلم الذي بقي يظن أنه فكر وهو عقل من عالم العقل مثله مثل معظم الفلاسفة المثاليين.

سؤال: المرأة والحب؟

يجيب المعلم :" كل شيء ينظر بهذا المنظار . الحب علاقة جدلية .. في النهاية لا يفرق الأشياء جسداً و روحاً. طبعاً يصل الإنسان إلى مستوى من الحب الحقيقي الذي ينعدم فيه أي مظهر للعلاقة الجدلية الأولى، أي يصبح الحب محض عطاء أي غيرياً بكل معنى الكلمة .

لهذا يوجد نوعان من الحب. البعض محبتهم أنانية، والبعض الآخر محبتهم مجردة عن كل أنانية أي غيرية لا تطلب شيئاً مقابل عاطفة الحب، وساعتئذ يتوجه الحب إلى حقيقة الإنسان.. " ص 116

وما يقوله المعلم:" الحب هو الذي آلف مراسي الوجود.. الحب قوة داخلية تجمع كينونة الأشياء – الحب الحقيقي هو طريق الوصول إلى الاحدية. ....

لنقل: إنا وإن كنّا ، فنحن جذوة الحب المبارك في عناصر الوجود. ليس هو الحب الخاضع إلى مادة العواطف تلك؛إنما هو الوعي لجوهر الحب،هو نغم يترنم على شذا ألحانه فؤاد الوجود ، فعلى وتر الحب الصامت الصافي نسمع لحن الخلود ، إذا ما كان الصمت يسمعنا نغماً بلا وتر، حين يترنم في ذاتنا النغم والوتر.

جميل هو الحب إذا ما كان في قدس أقداسنا -إذا ما كانت أقداسنا صوامع محبة ، علنا بالروح نحب– بالله نحب– بالوعي نحب - من أجل أن ترقى الحياة فينا – من أجل أن تصبح هي في ذاتها - جنات نعيم – وحدائق حب – جميل أن نعي الحب الحقيقي – من أجل أن نعي الحق والحقيقة – من أجل أن نحيا حياة الحقيقة – حياة الحب الحقيقي.

"السيدة والبستان "،هو البحث الذي وضعناه إلى جميع النساء والرجال في كتابنا " الإنسان والوجود "، ص 63

سؤال : ألا تعتقد بأن البعض لا يملك أهلية التطور؟ يجيب المعلم : " الوعي هو الشيء الأساسي في الإنسان .. ولا شك أن مفتاح العقل هو المعرفة .. من الضروري اعتماد دراسة الجدلية في المدارس بحيث نسهم في تحرير الإنسان وفي جعله ينفتح للعيش كما يجب أن يكون .. فمعظم الناس اليوم خاضعون لمخدرات فكرية ، وعقائدية ، أملتها بعض التقاليد القديمة .. بالطبع ، هناك تقاليد قديمة لكنها سليمة .

ويقول المعلم أيضاً: لقد قال السيد المسيح:" إذا كانت بصيرتك طاهرة فكل جسدك يكون في النور ". البصيرة هي العقل في النهاية". ص 116

بلى،فالوعي هو الشيء الأساسي في الإنسان،هو الوعي الذي يرقى بمعارفنا إلى حيث تتعدى القيود من أجل أن نصبح في مواقع السيادة الحقيقية. هو الوعي الذي يرقى بنا إلى عالم الإرادة – عالم العقل– بعد أن نتحرر من موبقات عالم الفكر - بعد أن نغتسل من ترابيتنا الثقيلة بماء الجوهر - هو وعي المعرفة من أجل أن نبسط السبل إلى صراط الأمر، إلى حقائق الوجود ،هو عالم الغائية الذي نفته فلسفة عصر النهضة الأوروبية من نظام الحياة حيث ألغت نظام الحياة ، هو الوعي الذي

يتناغم مع الحق والواجب، مع نظام الوجود الحق، مع جوهر الحياة والوجود، مع كينونة الإنسان في الحياة ، مع العقل الجوهر، مع اللّه.

وفي لحظة حرة لمخيلة المعلم طافت عبارة حرة من قيود الفكر تؤنسه كما هو في غاية الإيناس ليقول : البصيرة هي العقل في النهاية . تلك العبارة التي كنت قد تعلمتها منه وبقيت كما بقي في كياني .

فالعقل مصدر الشوق،هو العلة الأولى،هو المبدع،وكل شيء راجع إلى عنصره بفعل الشوق. إذا ما كان النور ينبلج من مصدر النور، من جوهر النور، وليس من ذلك الفكر صانع الموبقات.

كمال جنبلاط الحكيم .. في مقابلة مع ملحق جريدة النهار.. إدوار الزغبي

" كما تأكل تكون ". الشوفيون يعتبرونه حكيماً بالقوة. يعرضون عليه أمراضهم و يسألونه عن العلاج، وإنه يسرح، ويحلل، ويحدد ، ويصف. و وصفاته ليست سوى دعوة للعودة إلى الطبيعة،والبساطة، والبعد عن (الأكل الحضاري). وتراه يلح على زائريه أن يجعلوا نسبة الخضر في مآكلهم ترتفع إلى ثمانين في المئة. والدواء الوقائي ضد مرض العيون،وآلام المعدة والكليتين، والربو، والسرطان، هو في رأيه نبات القمح الذي لا يزيد على خمسة عشر سنتيمتراً.

فقد طالعت خلال زيارتي عن شعب لا يعرف المرض اسمه شعب الهوانزا الذي يعيش على حدود التيبت وباكستان .. يعيش الشخص منهم 110 سنين و115 سنة و 130 سنة. والظاهرة الغريبة، أنهم لا يشيخون ، ولا تظهر عليهم بوادر الشيخوخة،

يرى المعلم أن الحضارة تبدأ من عقل الإنسان ومن أعصابه، فالصحة الجسدية تحدد، في الواقع صحتنا العقلية أو النفسية، فنكون أو لا نكون". ص 118

مقابلة مع صحيفة الصفاء أجرتها معه لمياء ثابت ..

بعد عودته من الهند.

يقول المعلم :" الهند، بالنسبة إليّ ، هي جوهرياً لقاءاتي مع الحكماء. فالحكمة تتنزّل من المعلم إلى المريد. إنها الهبة المباشرة مما يسمّى العقل الأرفع.

obeikandi.com

والمعلم،باتصاله، هو الذي يكشف الحقيقة القائمة منذ الأزل في المريد. الحكيم لا يوحي شيئاً إلى المريد، لا يعرفه المريد. إنما يجعله يستوعبه بكل بساطة، تخيّلوا أنكم قد التقيتم شخصاً ما يسألكم عن عقده، إذ يخال أنه أضاعه فتجيبونه : العقد ها هو في عنقك ".

ويقول المعلم:" إن الأديان وجدت لجعل الإنسان يرتفع معنوياً وخلقياً، وهي غير مخصّصة ليوحى بها عن طريق وسائل التبشير والتعليم الديني العادية. إنما هذه الوسائل مخصّصة ، حصراً، لإعداد الميدان أمام المؤمن، ولتحضير الإنسان لكي يتساءل عن الأساس : ما الله ، وأيضاً من أكون؟ ومن الواضح أن السؤالين ليسا إلا مسألة واحدة".

- سيد جنبلاط ، ألا يستطيع السائل أن يفكر، وأنت الحكيم بأنك لا تكشف شيئاً إلا ويعرفه من قبل؟

لا أستطيع أن أقول ما الله ما لم أكن موجوداً هنا. إن بيكون الذي أورده إنجلز بكل طرافة، في كتابه Enti-Duhring، ألم يكتب:" الشيء الوحيد الذي لا أستطيع إنكاره هو وجودي بالذات؟ " والدين يطرح مسألة الحقيقة على المستوى الثنائي : علاقات الذات بالموضوع، أو علاقات الإنسان بالكون أو علاقاته بالله.

"هذه الثلاثية– الإنسان/ الكون/ الله–لا بد من تخّطيها لاستكشاف الأحد، الحقيقة. وإننا بالحكمة نتوصل إلى الكشف. فالحكمة تصوّر توحيدي، يرقّي هذه الثلاثية (الإنسان/ الكون / ألله)أو هذا الثالوث(الجسد / الفكر/ الحواس)". ص 126

إن فضيلة الحكمة والحكماء هي أنهم فضيلة الوجود الحق، وفضيلة الإنسان هي وعيه أنه هبة الموجود الحق – أنه فضيلة الوجود.

ونكتفي بقول المعلم : فالحكمة تتنزّل من المعلم إلى المريد. إنها الهبة المباشرة مما يسمى العقل الأرفع. لنقل: إن الحكمة هي السبيل إلى العقل، أي أنها تحررنا من قيود الفكر من أجل أن نرقى إلى نحن بالحقيقة، إذاً، لا بد أن نقول : لا توجد

الحقيقة في عالم الفكر ، إذا ما وضع هذا الفكر بينه وبين الحقيقة عالماً سعته التاريخ كله.

إن الأديان لا توجد ، إنها دين الله الواحد ،هو الدين المتجدد ، فالذي قاله موسى عليه السلام؛ قاله خاتم الأنبياء محمد "ص"مع ما لزم لقاء تطور البشر، ولمواجهة الفكر بما لديه من وسائل للاختلاف والكفر والتفرقة.

كان يحتاج بيكون إلى إثبات وجوده جوهرياً ، لكن ما قام به هو إلغاء الجوهر من الوجود حيث وجد من خلال فكره المادي، أن لا داعي للجوهر ،فيكون قد ألغى الروح والعقل والله معاً ، والحقيقة وجوهرها ، ليصبح الإنسان جسداً بلا روح.

إن فضيلة الدين هي غرس الفضيلة في الوجود ، من أجل أن تنعم الحياة بفضيلة الوجود. فالدين يغرس ورود الحقيقة في حدائق الحياة من أجل أن يصبح البشر في ذاتهم – ورود ورياحين تلك الحدائق.

فالدين وعيه، على أنه إرادة حياة لمن يرقى بالدين إلى مواقع الإرادة ، هيهات هذا لمن هو يرزح تحت رغبات الفكر.

لا بد من القول: إن الدين يحرر ،يسمو ويرقى بالفرد إلى الحرية الحقيقية ، إذا ما كانت جميع القيود صناعة فكرية ، فالكذب والدجل والنفاق هم صناعة فكرية. قال لي والدي الأميّ ذات يوم :" إن الإنسان مركَّبٌ على الخطأ ". علم ذلك من خلال رؤيته إلى مجتمع الفكر، وما هو في ذاته كانسان.

جنبلاط الكون ، والله.

يقول المعلم:" الحقيقة الواحدة، الفريدة، المطلقة ،هي قاطرة كل شيء". ص 127

- كيف يطبّق جنبلاط نفسه ، في الملموس ، في حياته اليومية؟

"هذا المسلك يحفظني على مستوى الحقيقة المطلقة.وإن التقشف البسيط المطلوب هو اعتبار الجسد ،الروح، الأنا ،الظواهر ،كأنها مدّ دائم التبدل، لا هوية ذاتية، موجودة وغير موجودة في وقت واحد. لأنني حينما

obeikandl.com

أبصرها، تكون قد تبدلت.

ويقول المعلم:" قوام الحكمة أن تكون على الدوام واعياً لهذا التبدّل في الأشياء، وأن تقرر في نهاية المطاف إن الشيء الوحيد الذي لا يتبدل هو الأنا. قوامها أن تكون واعياً لديمومة الأنا واستمراريتها في سيلان كل شيء داخلي أو خارجي. فكل واحد منا هو المطلق في حقيقته الحميمية، الذاتية الداخلية الأخيرة الإنسان هو المطلق. الكل هو المطلق. ونحن نملك سلطاناً إلهياً، سلطان الإبداع. لأن إحدى وظائف الفكر هي إبداع العالم الخارجي".ص 128

نحن مع المعلم في قوله أيضاً :"وإن مجرّد رؤية حكيم ما، هي كشف للحقيقة. فالحكيم تخطى كل تعارضات الازدواج. إنه وحي ذاته بالنسبة إلى ذاته وسواه، إنه المطلق.

ولا بد أن يكون الحكيم قد تخطى ازدواجية الفكر والمادة، الفكر والتضاد، الفكر والمصلحة، الفكر والذاتية–من أجل أن نقول عنه كما قال معلمه عن الحكيم :" أنا لست فكراً وليس لي فكر ... أنا وعي طاهر لا يعرف التبدل ولا يعرف الزوال" أتمنندا ص 49 تقديم كمال جنبلاط .

وقال الحكيم أيضاً :" المعرفة عندما تكون غرضية ، تصبح فكرة. وإذ ذاك فإن " الأنا " تبقى كالشاهد على الفكرة " ص 54

وقال الحكيم أيضاً :" إذاً وبمعنى أدق ، لا يوجد فكر. يوجد فقط وعي، وفكرة الزمن هي محض افتراض سببه الخداع ". ص 42

"فالحكماء أجمعت بأن الفكر هو الجهل، والصفاء الكلي هو المعرفة، فبالمعرفة وحدها طريق الخلاص ". أتمنندا في كتاب أتما دارشان 21

إن قانون الوجود هو "وحدة جوهرية - كثرة مادية".الوحدة مبدأ الكثرة، الوحدة ثابتة أزلياً، والكثرة متحركة أبدياً، والثبات جوهري مطلق يتعدى كل شيء، سيدٌ حرٌ مستقلٌ ، لأنه منزه عن الانفعال والخطأ، هو الكمال في ذاته، والكثرة خاضعة إلى التغير والتبدل والاستحالة والانفعال والخطأ، لأنها تتجه إلى غاية الكمال.

فالروح، إنما هي من الأنا [الوحدة الجوهرية] الثابتة أزلياً ،هي ليست خاضعة إذا ما كانت من صميم الوحدة الجوهرية، (بساطة محضة)

الروح مستقلة عن الموضوع لكنها ليست منفصلة عنه لأنها اتحدت به بفعل الشوق، وكل جدلية لا تتجرد إلى الحقيقة، لا علاقة لها بالروح.

إن التبدل قد يكون إرادياً، بفعل الإرادة الكلية كحركة الأفلاك، وكل ما يقصر عنه الفكر، من حركة غائية ، ومن فعل الطبيعة.

فالماضي والحاضر والمستقبل يشكلون حركات نحو جميع أقطاب الدائرة، خلال تسلسل زمني أحادي الاتجاه، ولا بد من أن تكون وليدة القاعدة، لتصبح أمهات، ثم وليدة ذاتها واستمرار تلك الولادات أبدياً.

إذاً، لم تنفصل حركات التاريخ أبداً ، لأنها مرتبطة بزمن دائم الحركة وثابت الاتجاه إلى الأمام كما أنها مرتبطة عضوياً بأسباب ونتائج.

إن وعينا للماضي والحاضر يحدد نظرتنا إلى المستقبل، إذا ما كان الماضي والحاضر هما معاً بناة المستقبل.

إن المطلق هو الله (الجوهر المحض) هو الوحدة الجوهرية المبثوثة في كل ثنيات الوجود ،وأن مظهرية الوجود هي الحجاب المادي لتلك الوحدة الجوهرية ، هنا ،لا بد من معرفة الوجود من أجل أن نعلم من نحن منه، وأين هو المطلق منّا.

فإذا ما عدنا إلى الآية الكريمة من سورة السجدة التي تقول: " ثم سواه ونفخ فيه من روحه". لا بد أن نعلم أننا من روح الله، أننا من صميم الجوهر، أننا جملة خلايا يحتويها ذلك الجوهر، أننا أقداس وأعماق وراء غطاء هذا الفكر.

يقول المعلم:" ولدى الموحدين هذه الإشارة: م: قالها: ولدى الدروز.

حتى يُطلع المطلق الكائنات المشاركة في جلاله الخاص، عكس من حوله مرايا يُستمتع في النظر فيها إلى شكله الخاص الذي لا أشكال له".

إنما هو الوعي الذي يحقق الرؤية، إذا ما كان يتناغم مع ذاته في أشياء الوجود ويبقى الوجود شاهداً على ذلك التناغم.

إن الوعي الذي يتعدى أحجبة الفكر القاتمة، يكشف عن المكنون، فيتجلى في ذات الوجود صوراً تردد نغمه في سبحات الوجود المبسوطة في غبطة ذاتها.

إن كل من يعي أن الوجود نغم؛لا بد من أن يكون وتر ذات النغم، وتر يصف في صفاء البسط غبطته.

هذا حين يرتقي الناظر إلى أن يرى بعين المنظور؛هنا تتوحد الصورة المرئية حيث تصبح الصورة والمصور والمتصور... واحداً .

سؤال: لماذا تصدمون الآخرين، ولماذا أنت شخص يُجَادل فيه كثيراً؟

يجيب المعلم:" إن الحقائق الصغيرة التي تقال للآخرين، يعتبرونها غالباً كأنها فضائح. لكن المسألة اليوم، وبكل تأكيد ، هي مسألة الحقيقة.

أما الحقيقة السياسية فهي أولاً تطوير الإنسان في اتجاهه الطبيعي،وهي إبعاده قدر الإمكان عن تصنّع الحضارة الغربية.

المقصود هو منح الإنسان الشعور بالتكامل الكلي بين الروحي والزمني في حياته. الشعور بضرورة الشريعة الأخلاقية المرتبطة بالنظام الكلي. بشريعة الكون؛ وعندما يخالف العرف البشري هذه الشريعة تقع الكارثة. ". ص 129

نرى أن الإنسان قد راح ينحدر في كل يوم إلى درك لم يكن متوقعاً ، وقد أصبح هذا الانحدار مخيفاً ومفزعاً حين أصبحت جملة الموبقات مألوفة لدى مجتمعات تجد فيها عصرية تغذي أهوائها ، وكل من لا ينغمس في تلك الأهواء،تراه عقبة في سبيل التطور حسب رؤية هذه المجتمعات.ومن أجل الانتباه إلى ما يجري في عالمنا هذا؛ فقد وضعتُ بحثاً بسيطاً تحت عنوان " لقد شاخ هذا العصر " في كتاب نشرته هو " الحقيقة ومرآة العقل ص 157"

إن التكامل الروحي الجسدي يتطلب وعي الروح والجسد ، وعي العلة والغاية ، ليس حسب ما قدمته الفلسفة الأوروبية الحديثة،لا بل حسب ما يكشفه الوعي لمكنون الحياة والوجود.

إذا ما كان الوعي يحقق لنا السعادة الحقيقية والسيادة الحقيقية؛ فلماذا لا يكون هو المنهج والنهج من أجل تحرير النفس والحجر والنبت من جهنم الفكر.
لا سيادة تحت قيود، ولا سعادة تحت سيف القوة، ولا حرية مع الجهل، ولا أمان في عالم الحرب هذا.إن الفوضى التي يعيشها عالمنا اليوم؛هي نتاج الفلسفات الخاطئة، والتي نبّه عنها المعلم الحكيم كمال جنبلاط .

إن الوعي يحقق غاية الوجود بجميع كائناته، ويجعل الإنسانية أسرة واحدة قائمة على الحب والسلام والسعادة والفرح.

مقابلة المعلم مع صحيفة الأنوار 1972

سؤال: عندما تكون في حالة تأمل، ما هي طريق العودة التي تسلكها نحو العودة إلى الحياة الواعية؟

يجيب المعلم:" التأمل ليس حالة خاصة بحدّ ذاتها، إلا إذا كان التأمل محض تأمل فكري، أي تحديد الفكر وتوجيهه إلى غرض مادي أو مثال معنوي".

راما، سيدة ضليعة في علم اليوغا، تقول ليّ: حين أتحرر من العقل وأدخل في تأمل الفكر.

هنا قاطعتها بقوة،وقلت لها: إنما أنت في عالم الفكر، وفي سياق الفكرة المتجددة وهذه الفكرة مادية غرضية ، فمن أجل أن تستطيعين التأمل ، يجب أن تتجردين من كل فكرة وفكر ومن كل ثقل ترابي من أجل الارتقاء إلى عالم النور الجوهري، عالم العقل المتسامي عن عالم الحس الذي تعبث به رياح الفكر. فأنت تفكرين وتبحثين وتتقصين عالم الفكر هذا بالفكر،بالحس، بما هو مادي، لكنك إذا أردت الخلاص من عالم الفكر ،عالم الأغراض والمصالح والرغبات هذا حيث إن ثقله الترابي يقصيك عن السمو والارتقاء، وأنت في موقع إرادي دأبه السمو إلى عالم الإرادة العقلية والانعتاق مما هو حسي؛هنا عليك الجلوس طويلاً

obeikandl.com

حتى تتجردين من كل فكرة وفكر ، إلى يقظة يذوب فيها الزمان والمكان ، وتتجلى الإرادة العقلية، هنا تتجلى الحقيقة.

ألم يقل سقراط المعلم :" أسدد الخمس الكوى تعرف مسكن العلة". ألم يقل أتمنندا المعلم :" أجمعت العلماء على أن الفكر جهل ". بلى هو جهل لأنه يجهل درب الحقيقة التي هي السيادة الحقيقية والسعادة الحقيقية إلى جميع البشر.

وقد كان السؤال خاطئاً ، لأن عالم الفكر هو عالم الغفلة، وليس عالم الحياة الواعية. لأن عالم الحياة الواعية لا تقع خطيئة فيه، فالخطيئة رفيقة الجهل.

يقول المعلم:" أما التأمل الحقيقي فهو إراحة الفكر، أي جعله يرتاح من كل انقباض فيصبح الفكر خاوياً من كل فكرة أو شعور، وطبعاً يحلّ فيه لون من ألوان الفرح الداخلي. وهذا اللون من التأمل يهدف في النهاية إلى تلاشي الفكر ومحوه تماماً من ذاك الذي ينبع منه في كل حين يشكل أفكار، من الوعي". ص 131

إنني أجزم أن المعلم ليس فكراً ،وليس له فكر،إذا ما كان غريباً على الفكر وعلى عالم الفكر،فقد كان المعلم وعياً من عالم الوعي،فإذا ما كان من طلاب المعلم أتمنندا القائل : " أنا لست فكراً وليس لي فكر... أنا وعي طاهر لا يعرف التبدل ولا يعرف الزوال".إذاً ،هو المعلم صورة من صور الغريب المفارق،لا يعرف التبدل ولا يعرف الزوال ... هو عقل .. إنما قال هذا تواضعاً منه.

فحين تزول الفكرة من حركة الفكر؛ لا يبقى فكرة ولا فكر. ولا تزول الفكرة إلا بزوال الفكر، وحين يزول الفكر تزول مادته القائم فيها والقائمة فيه ، لأنه لا يحتوي جوهراً يحميه ومادته من الفناء.

إن التأمل يتعدى التلوين إلى الصفاء الخالص ، ويتعدى الهدف إلى الغاية، حيث عالم الوعي.

سؤال ، متى يكون الإنسان خليقاً بالموت ؟

يجيب المعلم :" الإنسان في حقيقته لا يموت، لأن ما من شيء في الطبيعة يضمحل ويزول، حتى الجماد ، حتى المعدن، حتى الجزئيات الصغيرة من الذرة، والزوال هو مستحيل، أي أن يصبح الشيء لا شيئاً. لأن العدم هو غير موجود. إنما

كل ما يحدث فينا وحولنا وفي جسدنا هو تغير وتبدّل مستمر، وتحوّل من حال إلى حال .

فالموت إذن هو غير موجود بالنسبة إلى الحياة. الموت هو عكس الولادة، ولكنه ليس نقيض الحياة. لأننا في كل هنيهة وفي كل برهة صغيرة من وجودنا في هذا الجسد نحيا ونموت. إذ إن مليارات من الخلايا تموت في جسدنا وتولد مليارات من هذه الخلايا لكي تقوم مقامها". ص 133

هي الحقيقة لا شيء يفنى في الوجود، إنما هناك تبدل وتغير واستحالة للأشياء المادية فقط، لكل ما هو متحرك، لكن المحرك " الجوهر" هو الثابت السرمدي. هو الوجود وهو الواجد، وهو الموجود، وأن هذا المكنون الإنساني هو من صميمه.

سؤال ، لكن يبقى الخوف الذي ينتاب الإنسان من حالة الموت؟

يجيب المعلم:" الذي يخاف من الموت، ليست الحياة فينا، بل هذه [الأنا] الظاهرة الأنانية التي توحدت خطأ في هذا الجسد، لأنها تظن أنه هو الحياة، بينما الحياة تعبر بالجسد بحد ذاته، كما تعبر طاقة الزوابع الصغيرة في الماء فتحركها فترة من الزمن. فإذا أدرك الإنسان حقيقته، أي أن الحياة كلها فيه لا جزء منها، كما يتصور بعضهم، لأن الحياة ليست عنصراً مادياً يتجزأ، بَطُلَ الخوف وانهزم الرعب في أعماقه، وحلت والطمأنينة". ص 134

هو فعل الإرادة الإلهية حسب جميع الأديان والمعتقدات حيث صار الإبداع من صميم دائرة الوجود، من مصدر الشوق"الشوق المحض"هو شوق الصورة إلى ثبات جوهرها فاتحدت بالهيولى، وشوق الهيولى إلى إثبات وجودها فاتحدت بالصورة.

فالصورة مصدر الفعل والحركة، والجسد هو الحركة المحققة غاية الوجود بالفعل لتصبح الحياة في مكنونها وفي مظهرها من أجل تكامل الوجود، فيما بين مكنونه وظاهره، فيما بين ثبات مطلق وحركة مطلقة من أجل تحقيق غاية هي غبطة في ذاتها، غبطة الصورة الدافعة من ذاته ما في ذاتها، وسعادة المادة المحققة وجودها من خلال حركة فيها تحقيق ذاتها في وجود هو غايتها.

إن جمال الصورة ينعكس في مرآة المادة فيبعث فيها جمال الحركة، ونضارة الفعل، وهذا ما يضيف صفات وسمات ومثل إلى مظهرية المادة مستوحاة من القيمة الجوهرية للصورة.

هذا ما نريد تحقيقه في إلغاء الفكر الذي ألغى الصورة الحقيقية هو السمو والارتقاء إلى المواقع التي أسقطنا منها الفكر لتكون الصورة بجمال جوهرها رائدة الحركة من أجل تحقيق غاية الوجود.

فمن أجل ثبات الحياة في عين الحقيقة، لا بد من وعي الحياة ، وعياً جوهرياً، من أجل أن يكون الوعي هو القائد لحركة الوجود، إذا ما كان الوعي هو الذي يحقق الحياة الفرح.

إن الوجود الكلي من خلال احتواء الجوهر له هو حياة تنبض بالحيوية والجمال والخير والعطاء.

فقد نتحقق أبديتنا من خلال وعينا للحقيقة، حيث نعي أننا منها وإليها، والذي يفصلنا عن أبديتنا، إنما هو جهلنا لذاتنا الجوهرية الحرة أبداً.فنحن نخاف لأننا نجهل.

سؤال ، ألا تشعر أن هناك اضطراباً في حياتك الصوفية والسياسية؟

"لا أشعر أن هناك تناقضاً: لأن ما من شيء في الوجود ينفصل عن المحرك الأول للوجود الذي هو العقل.فالكون هو وحدة تامة بكل ما فيه.إذاً، لماذا يكون هناك تناقض بين ما نتوهم أنه داخل الإنسان، وبين ما نتوهم أنه خارجه ؟

السياسة نشاط كسائر النشاطات التي يقوم بها الناس في حياتهم، وفق ما يوجههم إليه قدرهم. هذا القدر الذي هو نتيجة أفكارهم ومشاعرهم وأفعالهم. إذاً، ما يفعله الإنسان في هذه الحياة هو جزء لا يتجزأ من كينونته الداخلية". ص 134

إن فضيلة المعلم ، هي أنه عَلَّم الفضيلة سواء في الصوفية أم في السياسة. وقد يكون الغريب في تصرفه هذا، إذا ما كان قد حّل عقدة التناقض من أجل أن يحقق الوحدة الكونية في ذاته. إذاً هو عقل وليس فكراً، حيث قال: ما من شيء في الوجود ينفصل عن المحرك الأول للوجود الذي هو العقل .

obeikandl.com

فحين عاد إلى نقطة بيكار الدائرة " العقل"، يكون قد حّل عقدة التناقضات جميعها وأصبح في صميم الوحدة الكونية، وأن ما فعله كان فعلاً إرادياً كما فعل السيد المسيح الفعل الذي صار له وليس عليه.

سؤال ، كيف توحد بين المتصوّف والاشتراكية ؟

" الاشتراكية نظام اجتماعي واقتصادي ومعنوي، يهدف إلى جعل الناس يتساوون ما أمكن في أوضاعهم العامة، لكن الاشتراكية ناقصة، مبتورة، كما نراها في معظم البلدان إذا لم تتوّجها حضارة معنوية تأخذ بعين الاعتبار، بأن ما يوحد الناس ويجمعهم ليس هو الجسد، وأجسادهم شتى، وليس هو الفكر وعقولهم مختلفة ومتنوعة كتنوّع الأزاهير في حديقة الرحمن، لكن ما يجمعهم ويوحدّهم هو معرفة الحقيقة والتحقق بها ، والصيرورة في المحبة الأصيلة، الإنسانية، الراسخة، الشاملة، التي لا يعود فيها، أنا وأنت ، بل يصبح فيها الكل واحداً.

ويقول المعلم: هذه هي الصوفيّة من معناها الرفيع. الصوفيّة هي ملح الأرض، لأنها اختبار الإنسان الرفيع لذاته، وهي ملح الاشتراكية إن صحَّ وقامت يوماً من الأيام اشتراكية سليمة وإنسانية في المعنى الصحيح للكلمة ".ص 135

ترى الاشتراكية " أن من خلال مصلحة المجموع تتحقق مصلحة الفرد" أي أن كل شبر من الأرض هو ملك الجميع، وكل ما في المصنع هو ملك الجميع، وكل ما في الوطن هو ملك الجميع . هنا لا بد أن يحافظ الجميع على جميع الوطن.

إن الاشتراكي كادر مثقف يحمل رسالة، بينما القاضي في مجتمعات كثيرة ليس كادراً ولا مثقفاً ولا يحمل رسالة.

إن الاشتراكية علم وعمل يحقق هدف العلم، بينما في مجتمعات كثيرة يتم تحصيل الشهادة من أجل استحقاق الوظيفة، ثم يعود ذاك المحصّل إلى أمية المفاهيم السائدة في مجتمعه.

في الاشتراكية يتحقق العمل إلى الجميع من أجل خلق التوازن والتساوي وإلغاء الطبقات، بينما في باقي المجتمعات يتحقق رأس المال للأفراد الذين تعلموا وسائل الربح. حيث وصل أولئك إلى الرأسمالية، ثم إلى.....

في قرية " شورتاو الألمانية الديمقراطية "وضع أصحاب الأرض حصة الأرض واحد بالمئة، وحصة العمل تسعاً وتسعون بالمئة. وهذا دليل على أنهم يحققون رسالة الحياة الاشتراكية ... فقد تم ذلك قبل توحيد الدولتين.

إن الصوفية عطاء، وصدق ، ومحبة. وقد تحققت هذه جميعها في المجتمعات التي كانت اشتراكية على مرِّ التاريخ. والذي قام بتدمير جميع ما حققته الاشتراكية على مر العصور هو الفكر لأنه علم أن " في تحقيق غاية الشيوعية يزول كفكر" لأن غاية الشيوعية والمثالية معاً هي الكمال الإنساني، أي الخلاص من الازدواجية في عالم، يصبح عالم الوعي.

إن غاية الصوفية هي، الوحدة الكونية، وتتحقق بزوال الازدواجية "إلغاء التضاد والتناقض والصراع والحرب أي إلغاء الفكر. أي وحدة الكينونة والكيان، من أجل أن تصبح الحركة إرادية، غائية، سيدة، حرة من جميع القيود تبدعها الكينونة ، ويحققها الكيان ".

يقول المعلم:" لا يوجد ممارسة سليمة للاشتراكية في أنظمة العالم. نحن ننزع إلى تحقيق الاشتراكية السليمة أكثر فأكثر، لكننا لا نزال بعيدين جداً عنها.

- والسبب ؟

لأن الاشتراكية تفرض قيام حضارة معنوية تزول فيها جميع التناقضات وأسباب الارتهان المادي والخلقي والنفسي عند الإنسان المعاصر كما كان يتصور في حلمه الجميل " كارل ماركس " و " إنجلز " ، اللذان طبعتهما اليونان، يونان سقراط وهيراقليطس وديموقريطس طبعة لا يمكن إزالتها من عقولهم وقلوبهم ". ص 135

نرى أن المفاهيم التي صاغها الفكر من أجل قيام الاشتراكية؛ كانت الأرقى والأغنى على مرِّ العصور وأن الوسائل الرهيبة التي قضى بواسطتها هذا الفكر على الاشتراكية كانت الأدهى والأعتى على مرِّ العصور.

obeikandl.com

إن النظرية الشيوعية من إبداع الفكر، لكنه حين علم حتمية فنائه إذا ما تحققت، في " الكمال الإنساني، أي العقل " فقام بمحوها من هذا العالم بجميع الوسائل.

مقابلة المعلم مع صحيفة " المونداي مورننغ " 1973

" المطلق "

نرى في هذه الكلمة التي تتسع لكل شيء – أنها غاية كل اتساع يحركه الجوهر، إنما هي غاية الغايات جميعها– هي الكل الباقي المستديم - هي البقاء السرمدي– هي المكنون فينا - هي بالوعي ذاتنا الحرة من كل قيد.

يقول المعلم في المطلق:" موجود في كل شيء مخلوق، بل أنه هو كل شيء موجود. هو كل شيء وكل شيء إياه، وعليه يكون الإنسان، أي حقيقة الإنسان أو الذات، هو المطلق، هو الألوهية. إنما الناس لا تعي هذا، فلا يعدو الإنسان حسب تفكيرهم كونه فرداً ذا أنانية أنية له فكر وحواس وعواطف مختلفة، منفصل عن الله الذي خلقه وأوجده. إن هذه الازدواجية، هذه الثنائية ليست حقيقية، وعندما يعي الإنسان هذا ويدركه يستنير بالذي تسميه المسيحية الروح القدس".ص 141

إن المطلق هو الوجود الحق، في مكنونه الذي يصون مظهره من العدمية والفناء، هو الوحدة "أس الوجود وجوهره "هو"الثبات السرمدي، والحركة الأبدية" هو " الوعي المحض، هو الله ".

أنت وأنا واحد

يقول المعلم:" أنت تحدث عن الإنسان كمن هو المطلق.لأجل هذا نجد الكتب الهندية كثيراً ما تأتي على العبارة أنت إياه ويقولون لك أَدِم التأمل في هذه العبارة؟ أيبتغون من ذلك تحققّ الإنسان المطلق؟ ".ص 142

نرى أنا إذا ما اغتسلنا من أوحال الفكر نصبح واحداً، حيث نعود من غربتنا الشقية في أودية المصالح والأغراض، نعود بالوعي إلى جوهرنا الواحد.

إن سبب الثنائية هي أوحال الفكر، وسبل الوحدة يحققها الوعي في الانتظام بسنن الوجود، حين يرقى الإنسان إلى وعي الحقائق الثابتة من أجل أن تصبح الحركة رائدها الوعي بعد أن يحررها من وثنية الفكر الجهنمية، فالعالم يجهل الحقائق التي هي جوهر ذاته، ويعمل بأوحال مادته الغبية العمياء.

تسأل الصحفيّة في اللغة الانكليزية ، هل أنا المطلق؟

يجيب المعلم:" نعم لأن ذاك المطلق هو أنتِ، ولو أنكِ أنت إياه. أنت إياه وإن لم تعرفي ذلك.

- وكيف أعرف ذلك ؟

لن تعرفي ذلك بواسطة الفكر ولا عن طريق التحليل العقلي، إنما بواسطة الإدراك الداخلي المباشر، بواسطة الحدس المباشر، وبمساعدة الحكيم Guru الذي يساعدك في التوجه صوب التحقّق من ذلك. عندما تدركين أنك المطلق ذاته، وأن المطلق هو كل شيء .. بهذا المعنى أنتِ وأنا واحد .. وبهذا المعنى قال السيد المسيح : أنا وأنت واحد. ص 142

نرى أن المطلق هو الخير المحض، والسيدة إنما هي فكر، والفكر يفعل الشر، إذاً، هي تصبح المطلق حين تغتسل من ذاك الشر، من خلال الوعي، حين تنعتق من قيود ثقيلة لا يمكنها السمو والتحليق في عالم الغاية إلا بعد الانعتاق منها.

إذاً، لا بد ما العودة إلى حقيقة ثابتة هي " إن الفكر مصالح ورغبات وحين تزول المصالح والرغبات، يزول الفكر وتتجلى الحقيقة التي تسمو بالإنسان إلى المطلق.

وإذا ما قلنا: إن العقل واحد في إبداعه وفي وجوده وفي عالمه، فعند زوال عالم الفكر ؛ يحضر العقل وعالم العقل. هذا ما ذكرناه في مقدمة كتابنا ضياء العقل.

إن العقل حسب رؤيتنا ليس عقل ديكارت الخاضع إلى التحليل والتركيب، لا بل هو العقل الواحد المبدع المسيّر نظام الوجود بدقة وشمول، أي نعود إلى نظام الوجود كما هو لنصبح منه وإليه.

-أنت السيد المسيح

-ومن الصعب التصوّر أن كل إنسان مقتدر على الوصول إلى مثل هذا التحقق.

يجيب المعلم:"إن لدى كل إنسان طاقة لأن يصبح مسيحاً، إن كل إنسان هو المسيح في داخله وفي قرارة نفسه، في جوهره ، وفي حقيقته. ربما أنه لا يدرك ذلك ، ولن يعيه إطلاقاً، أو لعل عدة ولادات وميتات (طريق انتقال الأرواح أو التقمص) تسبق وصوله إلى التحقق من هذا، ولكن على الرغم من ذلك فإن حقيقة الإنسان، أو ذاته هي هناك ولا بد من تألق هذه الذات متحققة مستنيرة بعد أن يسقط عنها وهم العالم الظاهر، العالم الذي تخلقه أفكارنا وحواسنا وعواطفنا". ص 142

هي الحقيقة التي يحققها الوعي من خلال السمو والارتقاء بالعلم والمعرفة والحكمة من أجل ذوبان تلك الذاتية التي صنعها الفكر، والخلاص من هموم الدنيا إذا ما كان الوعي يقود جميع أغراض الحياة في سبل مبسوطة ومستوية وصائرة إلى غبطة الناس وسعادتهم وتحررهم من أهداف الفكر الجهنمية .

إن الوعي يحقق غاية الإنسان في التسامي إلى مواقع الإرادة الغائية،وليس للطاقة موقعاً في نشده هذا ، فالوعي قد يرفع هامة الإنسان من أجل أن يرى السمو الذي يتناغم مع عظمته ليكون هو قائد لهذا التسامي الذي ينشده كيانه في الوجود،إذا ما كان هو غاية هذا الوجود، ينشده من صميمه من أجل أن تنسجم الحركة مع نظام الوجود المتحرك غائياً من أجل كمال غايته ، ليكون للإنسان غاية في الحياة هي من صميم غاية الوجود ، غاية يعلمها من خلال هذا السمو، حين تأخذ بالتساقط أوراق خريف الفكر.

فأنت وأنا منذ الأزل كنّا ولم نزل في رحلتنا المباركة في حدائق الأبدية. لكن الفكر الذي حرمنا من غايتنا هذه،ووضعنا وراء خنادق الحرب والقتال،تحت أهداف ومبادئ؛ حرب أخذتنا إلى غابة موحشة ،وصيّرنا وحوشها الضارية، فتجاهلنا حتى جهلِنا واجبنا في الحياة ، واجب بناء الجنة المتصورة بالوعي في ذاتنا وتحقيقها على أرض هي بالوعي جنة الروح؛ هي بالفعل جنة الخلد.

إن مَن يعرف السيد المسيح " عقلاً " هو المسيح في ذاته، ومَن لا يعرف السيد المسيح حقيقة - هو فكر.

تنتقل الأرواح إلى مالا نهاية ما دام محرّكها هذا الفكر، وترقى إلى عالم الحياة الحقيقية " عالم الغاية والنهاية " بعد أن تغتسل من أوحال هذا الفكر بماء الجوهر حتى تصفو وتتجلى لتنير عالمها الجديد – عالم الفرح الذي قال عنه المعلم .

يقول المعلم:" إن الفرح هو أصل طبيعتنا وحقيقتها. تجذبنا الملذات إليها، ولكن عند الحصول عليها لا نجد اللذة في تلك الجوانب إنما نجدها في إحساسنا الداخلي. لذلك نجزم بأن الفرح هو حقيقتنا، تبدو كأنها سرور ولذة،لكن الفرح أصلاً لا يتسبب عن شيء خارج عنه. ليس للفرح سبب أو علة. إن الفرح أشبه بالوجود ذاته إذ ليس للوجود سبب خارج عنه. إن الفرح كالوعي المطلق أيضاً،لا سبب له، ليس له بداية ولا نهاية هو لب كياننا.ذاك هو الثالوث الحقيقي: الوجود، الوعي ، والفرح. تلك هي الحقيقة المطلقة بذاتها، إنها تتعدى الجسم والشكل ، وهي وجود محض".ص 143

هنا، وفي روح هذه العبارات نجد غاية بحثنا، إذا ما كنّا من صميم هذا الوجود المشرق بذاته في ذات جوهره– إشراق غبطة شوق وهيام - هو هو مغتبطٌ في ذاته غبطة جوهرية يعيها مَن يراها بعين الوعي، ويحياها مَن أصبح في قمة الجبل كالمعلم الذي راح يزداد غبطة في النظر علواً.

فقد أخذتني الفلسفة في سبيلها المبسوط والمستوي، وطوت غابر أيامي التي كنت قد قضيتها في قفار الفكر، ووضعتني في حدائق رياضها،وعلمتني أبجدية لغتها من غير كلام ولا نظر،فذهبت إلى صورة في ذاتي ومنها،وبعينها رأيت الحدائق جميعها – رأيتها - صورةٌ لذاتي - فعرت أن في ذاتي السعادة والغبطة – والفرح.

فقد ولدت من جديد - ولدت من صميم الوجود – ولدت بواسطة حكيم ماهر هو - الوعي– حين أصبحت من ذاك الجوهر المتجلي أبداً– حين أصبحت من ذاك الفرح.

بلى، لقد قادهم الفكر إلى ملذاته، فشربوا وأكلوا، وازدادوا شرباً وأكلاً ، لكنهم لم يرتووا، فازدادوا عطشاً ، ولم يشبعوا ، فازدادوا جوعاً ونهماً ، فاختلفوا وتقاتلوا وما زالوا يختلفون ويتقاتلون على ما توهموه بعين الفكر أنه لذةّ.

لا وجود حقيقي للعالم ...

- ما هو العالم إذاً ؟

يجيب المعلم :"ليس للعالم الظاهر المرئي وجود حقيقي. إن الأشكال التي نرى هي من خلف وتكوين أفكارنا، بسبب علاقتها بالحواس وتفاعلها معها، لذلك تكون مواصفات هذا العالم غير موجودة بذاتها. وبهذا المعنى أكون أنا خالق العالم، أنا أصنع باستمرار هذه التكوينات الفكرية. من الناحية العلمية إن نحن نرُجع الشيء إلى أصله وعنصره نجد أننا نرتطم بالفراغ المليء بالممكنات، إنه غير العدم بل شيء يتعدى الاسم والشكل وله مقومات الوجود. يسمّي العلماء هذا الفراغ بالقوة المتشكلة بشكل الذرة أو البهباءة. إن حياتنا ليست إلا طاقة. إن باستطاعة العلماء أن يقولوا عن هذه الأشياء إنها ليست حقيقية لكنهم لا يستطيعون أن يعرّفوا الحقيقة المطلقة لهذا الفراغ [اللاشيء] الذي يحمل كل إمكانيات الوجود في ثناياه".ص 143

وقف الطالب أمام معلمه، وبعد هنيهة عرفه المعلم أنه كان تلميذه في جيله السابق،وعرف الطالب معلمه الذي ضربه بأصبعه على صدره فغاب الطالب إلى عالم لم يكن يتصوره. لكن المعلم قد أعاده بضربة إلى حيث عالم الواقع ليقل: ليتك تركتني في عالم الجمال الذي لم أكن أتصوره، عالم الحقيقة الذي أعجز الآن عن تصوره. فقال المعلم مجيباً: إنما عليك الكثير من أجل أن تحيا هذه الحقيقة .. من أجل أن تحياها أبداً.

بديع هو قول المعلم، لأننا من خلال حواسنا الشاحبة النظر، لا نرى سوى ما كدّسه لنا الفكر من آلام وهموم ، فهذا ما نستطيع رؤيته بنور الفكر [نور المادة] في عالم يرزح تحت نير القوة الغاشمة. ومع زوال الفكر .. يزول عالمه هذا..

فمن خلال مطالعتي الآنية إلى موسوعة [الأدب والأدباء العرب] والألم يعصر فؤادي على أرواح زُهقت بسيف ذاك الفكر، وعبارات مأساة سُطرّت بأقلام باكية من تظلم ذاك الفكر، وأيام ونقود قد صرفها الجهل الذي صرف به ذاك الفكر كل حساباته مع التاريخ. لأقل من كل أشجاني كلمة واحدة هي (يا للعزاء).

بلى ، إن المعلم ، وأنت ، وأنا بالوعي نخلق العالم، حين نصبح سادة أحراراً؛ إنما نصبح من صميم الجوهر المحرك لمادة حرة تتحرك إرادياً، ليست هذه المادة التي تحركها أغراض الفكر وذاتيته المفرطة.

ويزول الفكر حيث لا يحتوي جوهراً، وتزول القوة،لأنها سيف الفكر الذي يحقق له السيطرة واستعباد البشر، وهذا حتمي إذا ما حضر عالم العقل، عالم الإرادة، عالم الحقيقة، عالم الفرح.

فما هي الممكنات التي تملأ الفراغ ؟ لنقل: إن الوجود وجوب محض، لا سلب فيه ، مشحونٌ بضمير، إنما هو ضمير الوجود وسابقه، مبثوث بكل ثناياته، يحركه من صميمه..هذه هي نظرتنا إلى الوجود الذي هو في ذاته .. خلاء إلا من، وملاء .

وما هي قيمة التسمية لعلماء يغزون الطبيعة بمنظار الفكر الذي لا يرى سوى ما يبحثون عنه مما في جعبتهم من أفكار تتعلق بأغراضهم المادية.

إن حياتنا هي غاية في البسط والغبطة والسعادة والفرح إذا ما كانت مبسوطة بجوهر هو نور الوجود وجماله وبهجته،هو علوّه وسموّه وعظمته،هو الثراء الذي يتعدى كل ثراء، إذا ما كان ثراءً معنوياً.

إن حياتنا هي إرادة وعي تحرك طاقة مادية، إذا ما نظرنا في منظار الحقيقة إلى الحياة،لكن ما قام به الفكرهو إلغاء عنصر الإرادة المُحرك من صميم دائرة الوجود؛ لتصبح الحركة في ظاهر الوجود، حركة مادية غرضية.

حقاً، أن العلماء لا يعرفون الحقيقة المطلقة لهذا الفراغ ، من خلال منظارهم المادي، إذا ما كان سبيل الوصول إليها لا بد أن يكون من ذات نور الحقيقة المطلقة.

- ما هي إذاً هذه الحقيقة المطلقة ؟

هنا يجيب المعلم بالقول الفصل:"هي المطلق، الوعي المطلق، الذات Self . كل شيء هو وعي مطلق، كل شيء هو النور. " ص 144

بلى. كل شيء هو النور، إنما يجب وعيه من خلال ذات النور، وليس بنور آخر كنور المادة والفكر مثلاً. " إن الإنسان يجهل".

فالإنسان يرزح تحت جملة قيود مادية، ذات ثقل ترابي، حيث إن العلم والمعرفة والوعي يغسلون عن هذا الإنسان ترابية المادة الثقيلة من أجل أن تزول جميع القيود حتى يتنسم روح الحرية[السيادة الحقيقية]هنا يتحرر من جسده القابل للتغير والتبدل ولجملة الغرائز حيث يصبح حجابه مادة حرة سيدة ، تسيرّها إرادة عقلية غائية، لأن عند زوال الفكر تزول مادته الفكرية.

إن الإنسان غاية الوجود، غاية تتحقق إرادياً حين يتعدى قيود الفكر هذه، وهو ليس غرضاً في الحياة ، وليس له غرض؛ إذا ما كان الوعي هو الذي يقود أغراض الحياة جميعها؛ يقود جميع أغراض الحياة نحو الكمال حسب سنن الوجود. .....

- ما هو التأمل؟

يجيب المعلم:"للتأمل منهجان أو طريقتان إما عن طريق تركيز الفكر على تصوّر فكري، الله مثلاً، أو المسيح، وإما عن طريق تهدئة الفكر - وهذه هي الطريقة الفضلى – طريقة تهدئة الفكر الذي يمنعك بالدرجة الأولى سوف يحول بينك وبين معرفة الحقيقة. فأنتِ إن هجع فكرك وسكن إلى حدّ يكون لك فكر هادىء ساكن غير مضطرب، تكونين متأملة، فأنتِ عندئذٍ ذاتك وحقيقتك أنتِ الذات بدون أي حجاب بينك وبينك إذ تصلين إلى مستوى المطلق". ص 145

نرى أن التأمل في عالم الحقيقة، لا بد أن يكون بواسطة نور من عالم الحقيقة، أذا ما كانت أفكار الفكر تستحوذ مظهرية عالم الطبيعة المادية، إذاً، يجب الانعتاق من الفكر ومن عالم الفكر من أجل السمو إلى عالم الحقيقة الذي يعلو ويرقى بصفاته ومثله وسماته عن هذا العالم المتدنّي ، وهذا ما يراه المعلم.

إذا ما قال المعلم: " فأنت إن هجع فكرك وسكن".نرى أن التأمل قد يصبح تأملاً فعلاً ، إذا ما صفى هذا الفكر الذي لن يحقق الصفاء، لأن الصفاء يفنيه كفكر، فكيف يصفو وخليلته المادة تجبره على الحركة، فالحركة دائمة ولا يوقفها شيء أبداً سوى الوعي الذي يزيل حركة الفكر والمادة الجارية وراء المصلحة والغرض والهدف والغريزة وما إلى ذلك ، من أجل أن يصنع حركة غائية تحقق جنة الذات في الذات وعلى الأرض، أي " غاية الحياة والإنسان والوجود".

إن المتأمل هو في عالم فيما وراء الطبيعة أثناء تأمله، وهو غريب على عالم الطبيعة ويبقى غريباً حتى لو كان بيننا. إذاً هو في عالم الغاية " عالم العقل - الغريب المفارق. ولا علاقة بين الفكر والمادة وبين المتأمل، لأن التأمل الحقيقي هو في عالم الحقيقة.

فلو سألنا السؤال التالي ، أين نحن ، وإلى أين؟

منذ ساعة تقريباً ،كنت والمازني وفلاّحاً من ريف مصر، وكان المعّلم في المخيلة، "سبعون عاماً والعشق يتناغم بين الفلاح وأرضه". وتحت عنوان " ذكرى" في كتابي الأول (نظرات في عين الحقيقة)،ص 43 وبقلم باكي بدموع الحنين الهائمة من وراء البحار، قلت:"كان القمر والليل والنجوم – في إنسان عيني يسهرون - ومع ذاتي يسرحون ويمرحون– ومن خمرتهم كنت أرتوي – ومن خمرتي كانوا يرتوون – حتى الطير والشمس وحبات التراب– في عين ذاتي كانوا ينظرون، وحين رفعت يدي مودعاً – في أم عيني رأيتهم يبكون – من غير مقلات وعيون – رأيتهم في ذات ناظرتي يبكون. فقبلات شوق إليهم ، إلى حبات تربتي – إن هذا الحب لا ينساه قلب مكنون". هذا في 7 / 8 / 1975

وبعد أن عصفت رياح التغيير في كل شيء حتى حبات التراب وفؤادي وذاتي - وامتلأ كل شيء من حضارة العصر– امتلأ كل شيء كفراً وهماً وسماً وغماً– فلم أعد أرنو إلى شمس أو قمر - ولا إلى جبل أو سهل أو ذات أو فؤاد أو حب أو نغم عصفور أو لحن وتر. لأن زمن التغيير قد غّير طبيعة الأرض وطبيعتي – حيث فقدت الأرض عناصر حبها بعد أن كساها الزمن بحلل الغضب – وفقدتْ أيضاً

obeikandl.com

رائحة الحب الشهية منها ومنّي– ومن الطبيعة والوجود– وحين هاجرت إلى المدينة – نسيت أن أقول لأرضي كلمة– نسيت أرضي والبشر– نسيت حتى الكلمة– الكلمة التي عاشت في عميق أعماقي– وهذا ليس ذنْبي – بل هو ذنب العصر الذي أفقدني حتى أعماقي - وأفقدني الكلمة – لا بل أفقدني لغتي الحقيقية – أفقدني ذاتي .....

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ونعود إلى المقابلة الصحفية

- كيف تصف الحكيم أو المعلم؟
- إنه صاف كل الصفاء، نقي وطاهر بدون شائبة أو تحّفظ. هو ليس إلا تلقائية صفاء الحق وعفويته.
- هل تستطيع أن تصف هذه التجربة، هذه الحقيقة أو تلك المعرفة أو المعاناة؟
- إن الحقيقة هي فيما يتعدى الحرف، فيما يتعدى الكلمة والمعرفة، وتتعدى التصورات الفكرية أيضاً . " ص 146

بلى، إن الحكيم صاف كل الصفاء،لأنه كان قد اغتسل من ترابية المادة والفكر، وسمى إلى عالم الغاية الصافي من كل فكرة وفكر، وصار يفعل فعلاً عقلياً إرادياً من خلال وعيه إلى واجب الحياة.

والحقيقة كما يراها المعلم ، إنما هي عالم الغاية ، عالم الكمال المطلق، عالم الوعي الذي تعدى الحرف والكلمة والعلم والمعرفة وجميع الوسائل، إذا ما كانت من أجل هذه الغاية.

أنت في عالم الفكر،تحتاج إلى جميع قيود الفكر في عالمه هذا، إذاً، أنت خاضع إلى قيود الفكر، لكن جميع الحاجات التي تكون قد حققتها بالوعي،فأنت قد حققتها بك ولم تعد خارجة عنك، إذا ما كان الوعي هو الذي يحققها لك، والوعي منك ولأجلك من غير طلب، فالذي يحضر بالمخيلة آنياً ، تجده حيث أردت.

obeikandl.com

مع صحيفة الأنوار في السبعينيات

يقول المعلم: " إننا قادمون على عهد روحي جديد. الديانات القديمة لم تعد تملأ فراغ الإنسان. فلا هي تطورت باتجاه البحث العلمي، ولا هي تقدمت في مجال البحث عن الحقيقة. هناك تناقض بين الحضارة المادية وبين رغباتنا الحقيقية في السعادة. والتناقض يتجلى في الواقع. رغبة الإنسان الحقيقية، في النهاية، هي أن لا تكون لديه رغبة. هدف كل رغبة أن لا ترغب في أي شيء. الفرح لا يولد في أنفسنا إلا عندما يهدأ فكرنا تماماً، ويزول سعينا إلى هذه الرغبة. فعندما يموت الفكر يموت سعينا إلى الحصول على الشيء. وفي الدقيقة التي يتوقف فيها الفكر يتجلى نعيم الذات".ص 150

ليس العيب في الدين الذي جعله الفكر ديانات، إنما العيب في هذا الفكر الذي جعل من الدين وسائل اختلاف مادية، حيث أخرج الدين من غايته الحقيقية وهي معرفة الله معرفة تتجلى على أكف الوجود من أجل وعي الوجود من الذات حتى اللانهاية ؛ وجعله الفكر من أجل الاختلاف على مصالح ورغبات مادية دنية.

فقد أتيت على الرغبة في العديد من المواقع منها البحث الفريد الذي وضعته، تحت عنوان " ما بين العقل والفكر" ص 104 من كتابي ضياء العقل. فوضعت العقل في موقعه الحقيقي، ووضعت الفكر في موقعه الحقيقي ضمن صفحات ثلاث. منها " إن العقل يريد ولا يرغب – والفكر يرغب ولا يريد " فالرغبات خاضعة كونها من أجل هدف أو مصلحة أو شهوة . في حين أن الإرادة سيدة غائية.

إن الوعي يغسل الإنسان من الرغبات التي يقودها الفكر، حيث يرقى بهذا الإنسان إلى الغاية من وجوده؛ الغاية التي تنسجم مع غاية الوجود، فالرغبة تفعل أبداً من أجل تجسيد ذاتها، وتنفعل أبداً في حاجات ذلك التجسيد .

إن الفرح الحقيقي هو في انعتاقنا من قيود الفكر وشعورنا بالحرية، حين نعي أننا ذات جوهرية لا تفنى ولا تموت، أننا جوهر مبسوط في الوجود، جوهر بسط وسعادة وغبطة وفرح، حين نعي أننا نحن الأبدية في ذاتها، حين يشرق النور من ذاتنا ويتجلى على مظهرية الوجود، حين نحقق غاية إنسانيتنا بالحب والحرية والسلام.

استراحة في حدائق الخيال

هو الشوق الذي غرس في حدائق مخيلتي أُناساً من جنائن الإنس، فأتنستْ ذاتي بمؤانسة إنسانيتي الغالية، لأرى الحدائق ورداً وألحاناً، وطيوراً بلون الزنابق البيضاء، تحرك نسائم النغم – في ذاتي وفي الوجود.

فأنا، عرفت ذاتي والحياة – بين الزنابق في المروج الخضر - وتغنيت مع طفولتي الهائمة ونسائم الربيع، ونغم الطير وعشق الزهر والنحل– لشهد الوصال بجمال قدسيّ - يشرق من الأشياء ومنّي – ومن ثغر الوجود.

وكيف لم أعد أنا – في ظلمة بيتي وغدي وقدري – في غبائي وانفعالي وجنوني - في كياني المهدود - وكوني - بعد أن صار الوجود نغماً يثمل الروح – بعد أن أخبرني بلغة الأنغام – أنني منه أنشودة حب – أنني منه وصلة نغم– كالورود العاشقة مثلي - روحها على نغمة الحب - على شفة الأديم – على شفة – النغم.

وهمومي كلها – وأحزاني كلها – وعذاباتي كلها – تلك التي جنيتها في ربيع عمري – وضاع فيها عمري كله، وأصبحتُ منها، وأصبحتْ منّي – كلها ضاعت حين ابتسم الوجود – وعزف لحنه الأبدي، وأشرق من ذات مخيلتي - وصار نغما.. يثمل الروح ..

فقد كنت هوية فكر تجسّدت في كياني وذابت روحي في هذا الكيان، وفي لحظة واحدة من وحي الخيال – ضاعتْ هويتي– وذابت – مع قطر الندى – فوق جفنات الورود - من غير أن أدري – وصارتْ نغم.

obeikandi.com

وأحلامي التي كتَبتهَا المآقي والدموع– والأماني الكامنة بين الضلوع – قد تلاشت كلها في لحظة– بعد أن غسلها عبق الزهور– في دموع الفرح – فتراقصت على وتر الخلود – وصارت نغم.

وكأني أفتح باب الوجود – فلم أجد لا أنا ولا هو – ولا شقاء ولا جنون - إنما وجدت الجمال في ذاته – يترنم مع ذاته - وذاتي هي الوجود – وذاتي هي الحقيقة وهي الخلود – وهي الجمال والمثال – وهي القيثارة والوتر - وهي الناشد والمنشود – وهي النغم .

فما أبدع أن ترى الوجود بما في عينيك من الجمال - ما أبدع أن ترى الوجود بعين ذاتك – وما أبدع أن تكون ذاتك مشكاة نور ، من أجل أن ترى الجمال في ذاته – تراه صورة من نور - صورة من صور الجمال القدسي – انه صورة ذاتك – ذاتك التي صارت بالحب نغما قدسياً .

بديع أنت إذا ما كان الابتسام هو من فيض ذاتك – مشرقاً على محياك – حين يكون الابتسام - من وحي ذاتك – المتناغمة مع الجمال الحق – على وتر الخلود الصافي – لتعي أن الخلود هو – هو في ذاته.. نغم

بديع أنت – إذا ما كنت الوداعة في ذاتها– إذا ما كانت هي أنت – من أجل أن تصبح أنت الوجود المشرق بنور الحياة – بنعيم الفرح - لتكون كما هو تقاسيم نغم.

بديع أنت .. حين تعلم أن وداعتك.. هي من فيض ذاتك – لأنك من أبداع الجمال المحض– حين تصبح من ذات الجمال المشرق على مظهرية الوجود – لتصبح أنت الجمال – وأنت الابتسام – وأنت الوتر – وأنت الحب – وأنت النغم .

فالخيال ينتسب إلى الجمال، إذا ما كان الجمال هو الوعي الذي يعقل ذاته، إذا ما كان صوراً في غاية اللطافة للجمال المحض.

نحن بعين الوعي نرى صوراً لا تبصرها حواسنا ، إنما هي التي تتماثل مع ما نتنبأ به كقولنا : " من وحي الضمير - من وحي الوجود - من وحي الخيال". فالخيال

هو الغريب على حواسنا، والغريب إنما هو المتجلي من عالم الإله، من عالم فيما وراء الطبيعة، متجلٍ أبداً من عالم الحقيقة، متجل لمن يبصر بنور الحقيقة. وبما أننا نجهله، نقول لكل ما نجهله : إنه من وحي الخيال. فالحقيقة بالنسبة إلى عالم الفكر هي من وحي الخيال. والخيال في عالم الوعي هو صور الجمال المتصورة على الأشياء جملة فتكسوها هيبة وإهابة.

الجميل الجميل ، أن نجلس بين الزنابق والورود، نسمع منها ترانيم الحدائق والمروج، نسمع بصمت وعمق، علها تذيب ضجة الفكر في صفاء أديمها وتصفو في ذاتنا التي قد تصبح حرة في عالم حرٍّ - وترنو إلى السماء تائقة إلى وحي السماء.

إن ما نتخيله في دائرة الفكر، هو من مادة الفكر الخاضعة، وفي النهاية هو وهمٌ، نعيش فيه كسلّوة للحرمان الذي عانى منه الإنسان على هذه الأرض.

يشقى الفلاح عمره من أجل أن يشعر بدفىء الحياة، ويقدّم الخبز للآخرين ونادراً ما يشبع، وكأن الفلاح هو ابن الطبيعة، وباقي الناس أبناءه وأحفادها.

فأنا الفلاح الذي عشقني عود الفلاحة ومنجل الحصاد، بعد أن نفاني لوح الدراس حين أصبحت ثقيلاً عليه، فقد نفاني الجميع إلى معترك العمل الشاق المضني، وكأن الشقاء هو المعلم الذي كان يختار مهنتي وعملي في كل حين. وقد كنت أرنو إلى كل شيء بألم وحسرة ، إذا ما كانت جميع سبل الرجاء والأمل ، كيومي وغدي.

عشقني الشقاء وعشقته، وكان في لساني يتكلم، وكنت في لسانه أتكلم، هو كان المعلم والتلميذ واللغة والدرس، حين كنت خاوياً من أي لغة ولسان ودرس،

وذاتي التي كانت تذوب لوعة وأسى من أجل أن أكون كلمتها، حين كان بيني وبينها، أكوام من التراب، كان قد جمعها صانع الأضداد والرغبات، فلم أكن كلمة ذاتي ولم أكن لون بصيرتي، ولا نغم فؤادي، ولا نور عقلي ، إنما كنت فكراً يصنع أحجبة البعد والاختلاف بيني وبيني، وبيني وبين الآخرين، وبيني وبين الحقيقة، غريبة ذاتي عني وغريب أنا عن واقع لا يراني .

غريبة هي المآسي كيف كانت تذيب كل شيء حتى الألباب ،ولماذا كان غرض الزمن أن يعصر تلك الألباب بآلة قاهرة،لتكون عصارة الزمن هي القهر والذل.

فمن يقود هذا الزمن، ومن هو الذي يحفر قنوات الألم والقهر في الصدور، وما هو الحرمان ، ولماذا هذا الحرمان لبني البشر؟ لم أكن أعلم، إنما كنت أبحث عن جواب يحمل في ذاته علم اليقين.

إنما كنت أبحث بواسطة آلة فاقدة مثلي عناصر ذاتي الحقيقية، إذا ما كانت هي التي كانت قد أسقطت جميع سبل البحث إلى جرفها الهاري، بعد أن حملتني إلى أودية شقية، إلى قفار البعد والحرمان.

فكان الشقاء العابث في مخيلتي، قد لملمته من وجوه الناس والأشياء ومن مكنون ذاتي ، حين كان شعوري أن الشقاء لذة، فكان هو عزائي،لا بل عزائي الوحيد، مع أنني كنت أشتاق، وكل ما كنت أشتاق إليه ، قد فقد قيمته ومعناه حين توفر بين يدي.

إلى دير الزور وصلتْ بعد أن أخذ مني البرد مأخذه، هذا في الستينات من القرن الماضي من أجل امتحان الوظيفة،وكانت الطامة الكبرى هي أنني أحب الوحدة، ولم أكن أعلم أن حب الوحدة مصيبة. وفي القنيطرة، خسرت الامتحان ، لذات المصيبة. وفي دمشق خسرت الامتحان،لأنني أجبت أجوبة تامة على كل الأسئلة التي عُرضت عليّ، فرأيت أن المعرفة أيضاً مصيبة.

وحين طرق بابي ذاك الذي يسمونه حب،وجدني مشغولاً، حيث كنت أحزم أمتعتي. فكنت أعلم غرابتي حين أخبرتني الفلسفة عن تلك الغرابة، لكنها قبل أن تذهب، لم تعّلمني لغتها، إنما كان عزائي هو إدراكي بأني فلسفة، فلسفة من غير لغة حروفها منثورة على ثغور الزنابق والورود، فلسفة غريبة منسية، وكأنها في خزانة غريبة منسية.

وأول ما بسطت يدي، أتاني أول سائل مؤنباً فقال لي: عليك أن تبسطها للعطاء وليس للسلب إذا ما أردت أن تكبر، فذهبت بكل جوارحي أبحث عن ذاك السبيل من خلال الكتاب الذي كان يخبرني بكل شاردة فيه أنه هو السبيل.

لقد أدّبني الزمن، وهذبتني حكمة ألأولين، و وهبني الله ما لم أكن أتصوره من شغف بالكلمة، وتأمل بالقلم ، وشوق إليه ، وسعة بالحياة....

وبعد أن تساقطت جميع أوراق الخريف فوق هامتي؛ جلست مع شتاء العمر حول مدفأة المعرفة هذا بعد أن مرَّ بيّ صيف المعرفة المادية وادعاً في ضميري -صحوة الضمير.

فقد علمتني الفلسفة المثالية،كيف أحب،وكيف أتوق وأشتاق. علمتني لغتها الحقيقية من أجل أحُيياها في ذاتي وأغرسها ورداً بين السطور، فأصبحتُ وذاتي - كلمة جمعتْ حروفها الفلسفة الحقيقية للوجود، كلمة،صورّتها ذاتي بريشة إرادتي الحرة،

بعد أن صاغتها ذاتي من روح المعرفة، من جوهر الفلسفة.

في سهرة بديعة حول مائدة الفلسفة،من أجل مناقشة كتابي [العقل والوجود] الذي نشرته سنة 2011 وبعد أن أتيت على ما أردت،وقف أحد الناقدين من الذين ينكرون عليّ ما قاله صديق ومعرّف وقف وقال: لا فلسفة ولا فلاسفة بعد ابن رشد. وكأنه يقول: يا قوم لا تتكلموا .... ووقف آخر وقال: لقد قرأت هذا الكتاب، فوجدته غاية في السعة والعمق وأطلب أن يُدرّس في الجامعات السورية.

إن معضلة هذا الكتاب وما نُشر قبله أم بعده هي، أن كاتبه يقدّم رسالة إلى الغدّ ولا يطلب شهرة. فالكتاب والكاتب قد تنصفهما الأجيال القادمة، إذا ما كان رجلاً يحمل شهادة عالية بالفلسفة وينادي بإسقاطها ، فعلى مَن نعتب؟ لم أكن أتصور أن أحداً من عالم هذا العصر، يقف أمام حركة الحياة المتجددة في كل نفس وفي كل نبت حتى وفي الحجر، فالواجب أن يكون عصر الظلام الذي مرَّ بنا ، عبرة فقط ؛ لأنه بالحق عبرة لمن يعتبر.

فنحن جميعاً حركة توق واشتياق ، حركة تحقق صورة الغد المشرقة في كياننا وفي كينونتنا ، إنما الواجب فقط وعيها من أجل أن يكون الوعي فينا هو المحرك لها.

إذا ما كانت الفلسفة هي القاعدة الحقيقية الفاعلة من أجل إشادة البناء الإنساني الذي يتسع إلى جميع غايات البشر عمقاً وسعة وعلواً، فعلى جميع البشر أن يرتقوا إلى عالم الحب والسعادة والسلام – إلى عالم الوعي – إلى عالم الفلسفة.

إن متعة الحياة هي أن تعلم أنك متعة الحياة، ولن تعلم ذلك إن لم تتحرر من قيود شقية أثقلك بها الفكر، والفلسفة هي الوسيلة الحقيقية من أجل التحرر والانعتاق من جميع القيود ، لأنها وعي،والوعي هو السعادة،والسعادة هي بالوعي أنت. أنت رسالة الإنسانية ورسولها ... فكم أنت عظيمٌ حين تعي عظمتك في هذا الوجود العظيم.

ما بين زيد وعمر

obeikandl.com

إن الاختلاف الواقع في ما بين زيد وعمر لا يزول حتى تزول أسبابه. ولا يزول الاختلاف فيما بين الكون والمكنون ، حتى يزول الاختلاف فيما بين زيد وعمر؟

هناك فوق الثرى وتحت الثرية يجلس الخصمان،زيدٌ وكتاب بيده ، وَعمْر وأثقال الحياة.

- ما رأيك يا عَمْر في هذا الكتاب الذي بين يديّ الآن؟
- دعني منه يا صديقي فلا أظن أنه يساوي شيئاً.
- وهل طالعته حتى تصدر عنه هذا القرار يا سيدي؟
- لا لم أطالعه يا عزيزي،ولماذا أطالعه إن لم أكن أسمع بكاتبه على لسان أحد.
- لكن الكتاب يحتوي على روعة الكلام، وعمق المعاني. ليتك تأتي عليها أولاً.
- دعنا يا زيد من هذا الكتاب ومن كل كتاب، إن أفكارنا لم تعد تتسع،حتى زمننا هذا ، ليس زمن الكتاب والقلم، أليس هي حقيقة نحسها جميعنا في هذا الزمن؟
- الجميل ألاَّ نرمي بأثقالنا على الزمن إذا ما كنّا نجهل، فقد تكون الحقيقة في الكتاب والقلم يا صديقي عَمْر.
- لا بل هي في سعينا من أجل الحصول على مطلب الحياة، والحقيقة هناك هي يا سيدي .. هناك هي في نهاية الطريق.
- وما هو مطلب الحياة يا عَمر إذاً؟
- هو أن نعيش حياة كريمة
- إياك أن تدعَّي يا صديقي عَمْر بنبل الحياة التي نعيشها.
- لا بل منها قد نصل، إذا ما كانت الحياة تطور ذاتها وتتطور ذاتياً.
- جميل هذا يا عَمْر إذا ما كنّا نعي ونعقل.
- كيف لا ونحن فعلاً نعي ونعقل ، إذا ما كانت الحياة مدرسة من أجل ذلك ؟
- لا بل يا صديقي عَمر ، فنحن لا نعي ولا نعقل، لأننا نختلف.

obeikandl.com

- وما هي علاقة الوعي والعقل والكتاب بالاختلاف يا عزيزي زيد؟
- هنا بيت القصيد يا من أصدرت قرارك زوراً وبهتاناً على كتاب تجهله، وأن قراراً يصدره الجهل لا بد أن يكون نبع الاختلاف.وهذه حقيقة جلية يا صديقي
- إنك تكيدني يا زيد من غير وجه حق ، وفي هذا تظلمني وتظلم مجتمعاً قائماً على عادات وتقاليد راسخة في أعماقه منذ آلاف السنين .
- بلى يا عمْر، إنما هي تقاليد جُلها يمنع حركة الزمن. فمن لا يقرأ لا يعلم. أليس هذه حقيقة أيضاً؟
- بلى أنها الحقيقة .
- ومن لا يعلم ، لا بد أنه يجهل ، فهل أنت معي بهذا يا عزيزي عمْر
- أنت تقول الحق يا زيد بدون شك .
- وأن الجهل قائم على باطل ، فهل أنت معي بذلك يا صديقي؟
- بلى ، أنك تقول الحقيقة في ذاتها، إن الجهل قائم على باطل.
- إذاً ، لا بد أن يكون هذا المجتمع الذي يقوده الجهل مجتمعاً باطلاً ، أليس هي الحقيقة التي نحن بصددها الآن والتي تؤلم أعماقنا يا عزيزي عَمْر؟
- إنني معك يا زيد بقولك هذا : إن مجتمعاً يقوده الجهل هو مجتمع باطل .
- ولا بد أن نعلم يا عزيزي،أن مجتمعاً باطلاً ،لا بد أن يختزل ذاته في كل يوم، حيث إنك تكلمت في لسان ذلك الباطل عن هذا الكتاب يا عَمْر؟
- بلى أنني أصدرت حكماً باطلاً على ما أجهله. أعذرني يا عزيزي .
- وأن مجتمعاً يختزل ذاته في كل يوم هو مجتمع سائر على قدميه إلى الفناء. فهل أنت معي في رؤيتي هذه يا صديقي عَمْر ؟
- بلى،إنما أنت تظلم حركة الزمن حين تضع العادات والتقاليد سداً مظلماً جاهلاً بوجه تلك الحركة يا زيد، فكيف تطور الحياة ذاتها إذاً؟
- لا بل كل شيء في سبيله إلى التطور، ألم ترّ هذه التقنية الغريبة يا عَمْر؟

- بلى أرى أننا وسائل استهلاك لتقنية غريبة علينا ، نركض خلفها من غير أن نعلم ما هي . أليس هي الحقيقة يا عزيزي زيد؟
- نعم هذه حقيقة ، ولكن لا بد أن تعلم أننا في صميم حركة الزمن ، وأن واجبنا هو دفعها بالعلم إلى الأمام ، وليس شدها بالجهل إلى الخلف ليشهد لنا الزمن الذي يشهد علينا بأننا عقبة التطور ولسنا دعاته.أريد منك معرفة هذا الواجب يا عزيزي عَمْر وألاَّ تدافع عن الباطل.
- هي المعضلة الكبرى أننا في داخل حركة عصرية لا نعيها ولا نعرفها ، إنما نتكلم عنها من أجل الكلام فقط ، لأننا نجهلها .
- لا بل نحن خارج تلك الحركة ، إذا ما كنّا وسيلة استهلاك ، ونحن المتحركون بحركة خارجة عنّا وتبقينا حركة استهلاك إن لم نعلم كيف نصبح المحرّك نحن وتصبح الحركة لنا ولأجلنا. ولن نصبح إن لم تسمع ما يقوله الكاتب هنا.
- بالله يا زيد قلّ لي : ماذا يقول الكاتب إذاً.
- سوف أقول ما هو جميل إذا ما كنت في غاية الانتباه يا عَمْر من أجل أن تعلم غاية ما يقول الكتاب.
- إنني في كليتي توق لما سوف أسمعه يا صديقي .
- الكاتب يقول: النقطة هي ليست محور الدائرة فحسب؛ وإنما هي سرُّ وجودها ، تلك الدائرة التي لا تحفظ نقطتها فحسب ؛ وإنما غايتها ومركز وجودها أيضاً. وإذا ما كانت الغاية جوهر الوسيلة؛إذاً ،لا بد أن تكون الوسيلة من جوهر الغاية من أجل ذلك،لا بد أن نعي نقطة بيكار الدائرة؛حيث مبدأ الحركة ،حتى نصبح نحن المحرّك ونحن الحركة ونحن المتحرك. هذا مما يقوله الكاتب في هذه الصفحة يا عزيزي.
- إنني لم أفقه شيئاً من هذا الكلام ، فما علاقة تلك الحركة فينا كبشر؟
- أنت وأنا أيضاً لم نفقه شيئاً من هذا لأننا نجهل.
- وما علاقة الجهل بفلسفة كهذه يا صديقي زيد ؟

- يجيبنا الكاتب هنا أيضاً حيث يقول: الفلسفة ، إنما هي وعي المعرفة من أجل الكشف عن مكنونات الوجود. هنا يضعنا الكاتب في نقطة بيكار الدائرة ونحن لا حول لنا ولا قوة إلا أن نبحث عن وسيلة للخروج بسلام يا عزيزي عَمر.
- كيف ذلك ونحن نغرق في لجة بحر لا ندرك أبعاده ولا أعماقه يا أخي ؟
- هنا تكون قد وضعت قدميك على بوابة جهلك لترى ظلاماً دامساً ولا حول لك ولا قوة سوى البحث عن سبل الخلاص يا عزيزي عَمْر.
- وما هي سبل الخلاص يا صديقي زيد باللّه عليك قلْ لي؟
- هي أن تقرأ هذا الكتاب يا عزيزي ثم تصدر قرارك عنه من خلال المعرفة.
- وهل في قراءة هذا الكتاب نصل؟
- بلى يا عَمر ، قد نصل إلى البداية، فنحن إن لم نقرأ ، لن نعلم ، وحين لا نعلم فنحن نجهل، وما دمنا نجهل ، يكون قرارنا باطلاً ، كقرارك حول الكتاب.
- أجل،أنك تقول الحقيقة، وكم تكلمنا بلسان الحقيقة وعنها ونحن لا نعرفها ومع هذا كله نتحدث عن جهلنا بلسان يجهل ما يقول وفي ذلك نختلف . هل أصبت يا صديقي زيد؟
- نعم ، لقد أجدت التعبير يا عَمْر،عما يخالج ذاتك وضميرك، إذاً يصح بنا أن ننظر فيما نحن، من أجل أن نعلم أين نحن من الوعي والعقل.
- أرجو أن تعود إلى الكتاب، عّله يخبرنا عن وسيلة تنقذنا من جهلنا يا صديقي.
- إذاً ، لننظر مليّاً بما أتى به هذا الكتاب الذي يقول فيه الكاتب: إن الغرب وبكافة السبل قد حرمنا من إقامة مؤسسات عامة وخاصة لمجتمعنا، بعد أن سيّر كل قنوات دخلنا القومي إلى مصارفه، من أجل أن يحرص علينا كوسيلة استهلاك فقط ، لا يمكنها أن تصبح في موقع قيادة الحركة ، لأنه كان يعلم أننا في هذا الحرمان لن نتغير ، ولن نملك وسائل ذلك التغير الذي يحقق التجدد والتطور، حتى لا يخلق فينا "الإبداع"الذي هو غاية التغير

والتجدد والتطورفلم يدع أحداً منّا أن يصل إلى محور الدائرة ومركزها حين أودعنا منذ البداية في المحيط.

وقال لنا الغرب من خلال ثقافته الغريبة عنّا أننا نعي ونعقل وليس من داعٍ أبداً إلى إزعاج نفوسنا في ثقافة ولا صناعة متطورة مع تطور العصر،ولا علاقات عصرية تحقق التطور الفعلي ، يكفينا أن نرى تلك الحركة الدائبة من بعيد. ونحن حسب قوله نعي ونعقل. هنا يضعنا الكتاب يا عَمْر ، في ذات الموقع الذي أبقانا فيه الغرب، ولا حول لنا ولا قوة يا عزيزي.

- وحضارتنا العظيمة التي كنّا ولم نزل نتغنى بعظمتها، أليست هي صاحبة الفضل عليهم جميعاً يا عزيزي زيد ؟ ليت كاتب الكتاب يعلم هذا.
- بلى يا صديقي فقد وقفنا هناك عند آخر معركة نصر لنا ورحنا نتغنى،في حين راح الغرب يشيد البناء.ويصنع التاريخ،ولا نزال نحن هناك فيما وراء التاريخ نتغنى حتى بعد أن تمزقت أثوابنا وأحلامنا وأكبادنا ، لا نزال في ذاك التاريخ المجيد نتغنى، وقد صرنا هياكل عراة من جميع الحضارات وما زلنا نتغنى.
- وما هي المعرفة إذاً؟ باللّه يا زيد زدني من هذا الكتاب.
- هي عصارة التاريخ و روحه وعقله وجوهره تلك التي قد تعفنت في خزائن البعد ولم نخرجها إلى النور،من أجل أن يتقابل النوران– نور المعرفة ونور الذات. هذا حسب ما يقول الكاتب في هذا الكتاب. ويقول الكاتب أيضاً: المعرفة هي أنت من العلة إلى الغاية،هي أن تعرف من أنت، ومن أين، وإلى أين، وما هي علاقتك في الحياة،وفي الوجود، وما هو واجبك، وما هو حقك، وما هي غايتك. هي المعرفة ترجمة للعلم بفعل يثبت ذات العلم، ويفتح بوابة الإبداع. وهناك الكثير الكثير يا عزيزي عَمْر.
- إذا ، دعنا ها هنا قاعدون فلسنا جديرين في خوض غمار حرب كهذه الحرب. باللّه عليك يا زيد أن تدعْ هذا الكتاب الذي أصبحت أراه غريباً عنك وعنيّ.

obeikandl.com

- بلى ، أنه غريب حقاً – كالعقل أبداً – العقل الذي هو الغريب المفارق .هذا حسب الكتاب يا صديقي عَمْر.
- وهذا العقل الذي نستخدمه بجميع حواسنا ، مَنْ يكون إذاً ؟
- إنما للكاتب هنا قناعة تامة ترى " أن العقل لا يسَتخِدم ولا يُستخدَم حيث هو جوهر محض"، وأن هذا العقل الذي يستخدمه البشر في مصالحهم وأغراضهم ليس هو إلا صنماً من أصنام الفكر الذي أقامته فلسفة الغرب من أجل تظليل البشرية جميعها . إنني ألمس هنا حقائق بديعة في هذا الكتاب يا عزيزي عَمْر.
- أية حقائق تراها هنا بين يديك يا زيد قل لي؟
- يقول الكاتب : إنها حقائق سطرّها عقل الوجود " قلم الأزل" في الصدور في سطور من نور، وصارت تضيء ذاتنا الجوهرية ، وإذا ما توجهنا إليها في بصائرنا المشتاقة – ازدادت هيبة ونوراً وغبطة وإشراقاً، وإن لم نلتفت إليها فقد تبقى صدورنا في عتمة من ظلام الجهل. هذا ما يقوله الكاتب يا عمر.
- أنت تضعني يا زيد أمام مرآة ذاتي ولكن من غير بصيرة – وهذا ما يشوقني لأبصر، زدني علنيّ أبصر شيئاً من خلال هذا الكتاب.
- وكأنك يا عَمْر تبصر ما أتى عليه الكاتب تحت عنوان مرآة الحياة.
- ماذا يقول الكاتب يسرني أن أعلم لأنني أصبحت أتوق لهذا الكتاب يا عزيزي؟
- يقول الكاتب: إن لكل حركة متصورة في الوجود ؛ مرآة نرى فيها صورة هذا الوجود، صورة يهبها الوعي قيمة جمالية متصورة في مرآة الحركة.
- وماذا يعني الكاتب هنا ؟
- يعني الكاتب يا عزيزي عَمْر ، أن بصيرتنا التي تتحقق بالوعي، تحقق تعقلنا إلى حقائق الوجود تلك التي هي جوهر كل علم ومعرفة وبحث.
- وما هي مرآة الوعي حسب ما يراه الكاتب ، أليست هي الأجمل؟

- بلى يا صديقي ، فالكاتب يجيب بقوله: إنما هو العقل، جوهر الوجود.هو التناغم وهو النغم ، والقيثارة والنشد والوتر، وما يصدر عنه هو منه وإليه، إذا ما كان هو إرادة الموجود الحق وفعله.فهل أتى الكتاب على ما تريد يا عزيزي عَمر؟
- بلى يا أخي ، غير أني لا أفقه شيئاً.
- هي الفلسفة يا عمر أشد ما تحتاج إلى دقة الانتباه، من أجل الوصول إلى روعة المعنى مع وداعة الكلمة. فالعقل حسب الكتاب هو فعل الموجود الحق، حيث يحرك إرادياً، والحركة الإرادية إنما هي "حركة شوق منه وإليه " أي أن الجوهر هو في أعماق الذات "جوهر غبطة– جوهر شوق" يبث الشوق منها إلى الكيان كله الذي هو في غاية الشوق لتلك الذات وهي في غاية الشوق إلى المطلق في الوجود.وفي هذا تتم الحركة – حسب ما يراه الكاتب يا عزيزي عَمْر.
- يشوقني هذا البحث، وقد أصبحت أتوق إلى معرفة المزيد، فما هو الوعي إذاً؟
- لنبحث معاً يا عَمْر بين صفحات الكتاب علنا نجد الجواب.. بلى يا عزيزي ها هنا قد نجد الغريب والبديع، تحت عنوان " الإنسان والوعي "
- قل لي يا عزيزي ما ذا يقول الكاتب تحت هذا العنوان الجميل؟
- إن الكاتب يعلم أن عالمنا هذا الذي نعيش فيه يضعنا حقاً وراء حدود المعرفة الحقيقية للحياة الفرح. يقول الكاتب: إن الوعي هو عالم قائم بذاته ، هو العالم الحر - عالم السيادة الحقيقية – عالم الحقيقة – عالم العقل – عالم الجوهر - هو العالم الذي نرقى إليه بنور منه - ومعرفة ذلك النور من أجل أن تكون سبله الدالة إليه . هنا نجد أننا نجهل فعلاً يا صديقي عَمْر.
- أين نحن من هذا كله يا صاحبي إذاً؟
- لا بد أن نكون في غابة موحشة لم يتكشّف لنا نور الحياة الحقيقية يا عَمْر.
- زدني بالله أن تزيدني يا زيد من هذا الكلام البديع.
- يقول الكاتب هنا :الوعي هو الحب الذي يصوغ ذاته صياغة جوهرية، هو الذي يحرر الكيان من الغرض والغرضية ، ويرقى به إلى سلام حقيقي - إلى

حرية النشد– إلى التناغم الروحي فيما بين الناشد والمنشود - الوعي هو جمال مطلق هو سعادة أبدية – هو سيادة حقيقية - هو التحقق الجوهري – هو " عقل " 0

وما دمنا نجهل فلا حقيقة لنا، لأن الحقيقة لا تتجلى إلا بالوعي، فالجهل يحجب عنا جميع المقومات الإنسانية والمعنوية والروحية -إذا ما كان الوعي يسمو بنا في عالم الجمال المطلق – إلى حرية الإطلاق– في عالم الإله.أتسمع يا عَمْر؟

- إن هذا ما يشده البصيرة والسامعة والبصر، إذا ما كان الكاتب يتصور هنا في ريشة الوداعة ذاتها، وكأن الكلام هنا هو صورة الوداعة ذاتها، هل أتيت على روح المعنى في قولي هذا يا عزيزي زيد؟
- بلى لقد أجدت القول يا عَمْر ، فهل أنت معي في قولي عن هذا الكتاب وعن كل كتاب تصُاغ عباراته بمثل هذه الصياغة الجوهرية؟

-في الحقّ،يجب أن نتعلم واجب الحياة،وأن ننتظم في سنن ونظام الوجود بالعلم والمعرفة، من أجل أن نعي واجبنا في الحياة – من أجل أن نعقل إذا ما كان العقل هو روح الحياة ، وهو جوهرها وضميرها ، من أجل أن نحيا في روعة الضمير.....

رسالة إلى مَنّ كتب رسالة

obeikandi.com

رسالة.. تصورت في ريشة ضميري، وفي نور ذاتي، فكانت مشكاة نور في ضميري وذاتي، مشكاة نوركشفت عن بصيرتي حجب الظلام، فتكشّف نور بصيرتي لأرى أن سُلَمَ الأبدية ، لا يُرى إلا بنور الأبدية، ولأعلم أن الحياة قد ترقى بنا ، إذا ما كنّا نرقى بها ، فالحياة هي نحن، لأننا البناء الأبدي إلى حياة لا تزول.

فلم يمت أحدٌ؛ وأحداً لن يموتَ، إذا ما كان بناة التاريخَ لا يزالون هم بناة التاريخ، إذا ما كانوا في كل أين وفي كل زمن، إذا ما كان دستور الأبدية هو: ....." الصعود والنزول من على سُلم الأبدية " .....

فكم تمازجت سعادتي في كنه الوجود وتغنتْ مع أنغامه، وتعانقت مع إنشاده، وتراقصت على أوتاره، لتكون سعادتي في الوجود هي أنا، وهي هو، وهي نحن.

وكم تمازجت شقوتي مع شقاء البشر، وكم آلمني ذلك الشقاء حين علمت أن التاريخ قد خطه قلم شقي– خطه على صفحات شقية، خطه بمداد أسود على صفحات ناصعة بيضاء فأشقاها وأشقانا. خطه بذلك اللون القاتم، لأنه لم يكن يهتدي إلى نور الحقيقة من أجل أن يخطه بمداد من نور الأزل، من نور يغبط الذات ويبسطها، لكنه حجبها بحجاب الجهل - فأماتها بالذل - بدلاً من أن يحييها بالغبطة والفرح.

حين قرأت رسالة التاريخ من خلالَ موسوعة أدب وأدباء العرب – حزنت على تاريخ خطه الحزن على وقع أنغام حزينة تبعث الألم في الصدور، حزنت على جهالة كانت ولم تزل هي الفكر المسيطر على كل شيء عدى الجهالة، هي المآسي .

فقد كان الإنسانُ مركولاً بقدم الزمن ولم يزل. وكان الزمن مصعوقاً بسيف الفكر ولم يزل ، لتكبر غابة الوحوش وتعلو آفاقها وتتسع حتى تحجب وراء غياهب الجهل عالم السمات والصفات والمثل؛ عالم الحياة الفرح، عالم الحق والواجب.

إن الإنسان رسالة في ذاته تتصورْ، والعالم رسالة في ذاته تتصورْ، فما أبدع الرسالة التي تتصور في الذات بريشة الحقيقة، وما أبدع الذات التي تصور ذات ماهيتها من أجل أن تتجلى هاتيك الحقيقة الغريبة غرابة الذات عن التصور.

obeikandl.com

فإذا ما كان الجمال هو غاية كل تصور، فاعلمْ أيها الإنسان، أنك أنت الصورة ، وأنت المصّور ، وأنت المتصور، فحين ترقى إلى مواقع الإهابة تلك، فتصبح أنت أنت رسالة الحياة ، إلى عالم ينشد ... الفرح....

هي سعادتي أنت في جمال ذلك التصور، هي أن تبتسم– هي أن تحيي الابتسام في الأعماق، فحين تبتسم الأعماق؛ فالكون بكل أرجائه يبتسم ويصنع الابتسام على محياه ومحيانا ، حينها يعلو الإبتسام في الكون والكينونة والكيان، لأننا بالروح ومن الروح نبتسم – إلى وجود صيّره الابتسام غبطة جوهرية – وفي محياه المشرق الجميل - نبتسم.....

حين يبتسم الوعي، تتجلى حياة الفرح، يتجلى الحب الحقيقي وتصدح طيور الحرية بأنشودة السلام في فضاء حرٍّ، سعته الأكوان، سعته أنت، سعته الأرض والسماء، والغبطة والفرح، وفي ذات ماهيتك الحرة.. يتناغم النشد ، فيما بين الناشد والمنشود لتحيا في جمال الوعي – في جنائن العقل – في حياة الفرح.

لتعلم أن الكتاب هو الحبيب– والحبيبة هي الكلمة، والحب هو القلم الذي يصوغ دارته صياغة جوهرية يصوغها في الذات– ومن الذات تشرق محبة خالصة.

فقد علمتني الكلمة لغة الصمت، وقالت : إن لم أكن أنا كلمة الوجود .. أغنى ما في الوجود .. فالصمت أثمن .. هي علمتني إنسانيتي .. علمتني كيف أكون إنساناً في ذاته .. ومنه تشرق شمس المحبة .. تشرق في حرية .. وصيرتني الكلمة من فلذات روحها .. حين أصبحت .. منها .. أنظر إليها بشوق وهيام .. وصرت فيها توقاً واشتياق .. حين رأيت أنها بعضاً من حروف ذاتي التائقة .. فصارت هي أنا .. حين ذابت ذاتها في ذاتي .. وذاب كوني وكياني في ذاتها .. وصارت كلمة مشرقة على الوجود .. مشرقة بنور جمالها .. وعلو جلالها .. .. وبقيتُ العمر كله .. أنظر إليها بنورها .. وتنظر إليّ .. نظرة معشوق حقق عشقه في ذاته .. وقال لي الكتاب أن أتسع، حين أخبرني عن عظمة الاتساع، حين قال لي: الشجاع مَنْ يتلقى الصفعة في ابتسام، مَنْ يعطي مبتسماً ، مَنْ يعذر، مَنْ يسامح.

وقال ليّ الوعي:إن الاحترام ينبوع الحضارة تلك التي أخبرتني عن الأدب قائلة: إن الأدب قد خطه قلم السمات والمُثل بمداد الوعي - حتى الإهابة والوقار. قال لي: بالعفة تكبر،وبالأخلاق تكبر، وبالوقار تكبر .. وبالعطاء تصبح من روح الحياة .. إذا ما كان العطاء هو هو .. روح الحياة .. وإذا ما ذهبت إلى المُثل ، فقد تصبح منك تخبرك عنك في لغة الحياة .. في لغة الحقيقة.

وقال لي الوعي: السعادة هي أنا ،فأنا هي في ذاتها.سوف تجدني في عشق الكلمة للقلم، وعشق القلم للوجود، وعشق الوجود للحياة .. وأخبرني أنه هو الحب في ذاته، والحرية في ذاتها ،والسلام في ذاته، والأبدية في ذاتها ، والصدق في ذاته.ثم قال لي الوعي كلاماً غريباً ، غرابة الغريب المفارق ، غرابة العقل.

وقال لي الوعي: إذا ما أردت السيادة أيها الإنسان فالسيادة هي وعي - أنا– ولن تعرفها -إذا ما كنت خاضعاً لتلك القيود المهينة– فاعلمْ ان الوعي هو المحررمن جميع القيود .. فأنت وعي يجهل كنه ذاته، أنت جامعة علم مقفلة، أنت كلمة حرة حروفها سائبة في أودية الظلال،أنت رسالة سلام لم تُحقق غايتها ،أنت ينبوع الفرح الذي لم يتفجر، أنت أغنية بلا لحن ولا وتر، أنت عاشق يجهل معشوقه ، فذابت في ذاتك صور العاشق والمعشوق. وأنت في ذاتك حركة شوق تائهة في قفار البعد.. واعلم يا صديقي .. أن الوعي قد يرقى بك إلى صراط الأمر... إذا ما كان الزمن هو لك ولأجلك .. فأنت بنور العلم .. تذيب الجهل .. وإذا ما نهلت من ينابيع المعرفة .. تتسامى إلى مواقع الوعي ، وسوف تجدني في كل لحظاته مشرقاً منك– منيراً سبل الحياة إليك.. لأن عالمي هو عالم الحقيقة .. عالم السيادة الحقيقية .. عالم الغبطة والسعادة والفرح ... هذا مما قال لي الوعي، وهذا الغذاء .. إنما هو من زاد رسالتي إلى عالمي الحبيب .. إلى من يريد أن يكون رسالة الحياة الفرح 00

الجزء الثامن من مسيرة الشهيد كمال جنبلاط

obeikandl.com